

محمود محمد ط

استاذة

واجبة

يناير ١٩٧٠ نو القعدة ١٣٨٩  
ص ٠ ب ١١٥١ أم درمان السودان

# الاهداء

الى كل كريم ، مؤمن بكرامة الفكر ..

## — بعض مواضيع هذا الكتاب —

- \* فكرة ارسطو عن الله .. اين تختلف عن الاسلام ، واين تتفق ؟
- \* هل يفصل الاسلام فصلاً قاسياً بين الروح والجسد ؟
- \* هل الروح شيء اصلي في المادة ام هي شيء قائم بذاته ؟
- \* كيف يتواجد الله في كل مكان ، وفي لا مكان ؟
- \* تخلق الانسان بالاخلاق الالهية هل يعنى الاتحاد او الذوبان في الذات ؟
- \* اين توجد الجنة والنار .. افى عالمنا وزماننا هذا ؟
- \* خلاص العبد في الاسلام كيف يتم ؟
- \* هل الموت ميلاد جديد ؟
- \* العنف بين القبول والرفض في الاسلام ؟
- \* ما صحة تعريف (( نيوتن )) للأبعاد ، وما هو البعد الرابع ؟
- \* الحكمة وراء كون الطهارة الكبرى لكل الجسد والطهارة الصغرى لبعض الاعضاء فقط ؟
- \* قضية خلق القرآن .. هل تجد حلها الآن ؟

# بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ

يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ، وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ،

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »

صدق الله العظيم

## مقدمة :

ليس هذا الكتاب كأحد الكتب التي ألفها الناس عنا ، من حيث وحدة الموضوع .. ذلك بل أنه يتألف من أجوبة على أسئلة ، جاءت اشتاتا ، من فضلاء يفتحون على العرفان ، ويهتمون بقضايا الفكر المعاصر .. ولقد احتفلت باستلثهم هذه ، وكان ذلك منى حرصاً على كرامة الفكر ، في بلد لم يظفر الفكر فيه ، الى الآن ، بكبير كرامة .. ومع ذلك ، فان حرصى على تكريم الفكر انما يستمد اسبابه من اقتناع تام ، بان ليل الجهل قد أخذ ينجاب ، وان نور الفكر قد أخذ ينشر اجنحته المشرقة على هذه الارض الحزينة ، ومن ورائها ، على هذا الكوكب الحائر ..

## \* سر الحياة ..

قديمًا هام الناس بسر الحياة الاعظم .. هاموا بسر القدرة ، وبسر الخلود ... فجد الفلاسفة وراء ما اسموه بحجر الفلاسفة ، وبحث الكيماويون عما اسموه اكسير الحياة .. وحلم القصاصون بخاتم المنى ، وبالفانوس السحري .. ولم يظفر أى من هؤلاء بشيء مما كانوا يبتغون . قل لهؤلاء جميعاً ، ولغير هؤلاء ، من سائر الناس ، ان سر الحياة الاعظم — ان اكسير الحياة — هو الفكر .. الفكر الحر .. الفكر القوى ، الدقيق ، الذى يملك القدرة على ان يفلق الشعرة ، ويملك القدرة على ان يميز بين فلقتيها .. وهذا الفكر انما هو ثمرة العقل المسدد ، المروض ، المؤدب بادب الحق ، وادب الحقيقة ...

## ✽ الاسلام والقرآن وسيلة ..

وانما ، من اجل رياضة العقول على ادب الحق ، وادب الحقيقة ، حتى تقوى على دقة التفكير ، جاء الاسلام ، وانزل القرآن ، وشرعت الشريعة .. فانت ، اذا سئلت عن الاسلام ، فقل لهم : انه منهاج حياة ، وفقه تراض العقول لتقوى على دقة التفكير .. والله تبارك وتعالى ، يقول في ذلك : (( وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون )) .. قوله ، تعالى : (( وانزلنا اليك الذكر )) يعنى القرآن ، المحتوى على الحقيقة ، كلها ، وعلى الشريعة ، كلها — الحقيقة التى هى اعلى من مستواك ، والحقيقة التى فى مستواك ، والحقيقة التى فى مستوى امتك .. وعلى الشريعة التى هى فى مستواك ، والشريعة التى فى مستوى امتك — قوله ، تعالى : (( لتبين للناس ما نزل اليهم )) يعنى لتفصل لهم الشريعة التى يحتاجون ، وطرفا من الحقيقة التى يطبقونها ، مما يزيد فى فهمهم ، واحترامهم للشريعة .. قوله ، تعالى : (( و )) من قوله تعالى (( ولعلهم يتفكرون )) يعنى مرهم ان يعملوا بالشريعة ، بعقول مفتوحة ، وقلوب حاضرة .. قوله تعالى (( لعلهم يتفكرون )) هو المعلول ، وراء كل العلل ، والمطلوب ، وراء كل المطالب ، والمقصود ، وراء كل المقاصد .. يتفكرون فى ماذا ؟ فى السموات والارض ؟ لا !! ليس فحسب !! فانما هذا تفكير مقصود لغيره .. مقصود بالحوالة !! واما التفكير المقصود بالاصالة فهو تفكيرهم فى انفسهم .. قال تعالى : (( وفى الارض آيات للموقنين \* وفى انفسكم !! افلا تبصرون ؟ ))

## ✽ رياضة العقول ..

والآية التى صدرنا بها هذه المقدمة انما جاءت بسبيل من رياضة العقول ، حتى تقوى على دقة الفكر ، وحرية .. (( يا ايها الذين آمنوا )) الذين استقبلوا الدين بالعقيدة ، ولم يستيقنوه بالفكر ، فيصـبـحوا (( مسلمين )) .. (( ان تتقوا الله )) يعنى ان تعملوا بالشريعة ، فقامتروا بالامر ، وتنتهوا عند النهى .. (( يجعل لكم فرقانا )) ، يعنى نوراً فى عقولكم ، به تفرقون بين الحق والباطل .. يعنى يجعل لكم مقدرة فى عقولكم ، بفضـل التقوى ، بها تقوون على التفكير الحقيق ، والتمييز السليم ، بين ما يلىق وما لا يلىق .. بين الحلال والحرام .. (( الحرام ما حاك فى نفسك ، وخشيت ان يطلع عليه الناس )) .. والتقوى (( شجرة )) والفرقان (( ثمرة )) ، وبقدر ما تدق التقوى يدق الفرقان ،

ويقوى .. فالتقوى تبدأ من صورتها الغليظة ، ثم تسير نحو الدقة .. وكذلك الفرقان ، يبدأ من بداية بسيطة ، وضعيفة ، ثم يسير نحو الدقة ، والقوة ، تبعاً لسير التقوى .. وصورة التقوى ، والفرقان ، ومسيرتهما نحو الدقة ، من الغلظة ، يحكيها ، احسن حكاية ، الحديث الشريف : (( الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبّهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبّهات ، فقد استبرا لدينه ، ولعرضه .. )) .. فكان التقوى ، في بدايتها ، لا تحتاج الى كبير عناء ، وكذلك قوة العقل ، المميّزة بين الحلال والحرام ، لا تحتاج الى شدة دقة .. ثم يبدأ السير ، من الطرفين الغليظين ، نحو الوسط — نحو منطقة الامور المشتبّهات — وهى منطقة فيها تبدأ الحاجة الى قوة فكرية ، زائدة ، بها يقع التمييز بين الحلال والحرام .. وفيها ايضا تبدأ الحاجة الى قوة فى الارادة ، زائدة ، بها تقوم القدرة على فعل ما هو به مأمور ، وترك ما هو عنه منهى .. وتصبح التقوى ، ههنا ، علماً ، وعملاً بمقتضى العلم .. أو قل ، تصبح قوة على التمييز ، ومقدرة على التنفيذ ، حسب ما يمليه التمييز ..

### ✽ مستويات التقوى والفرقان ..

فللتقوى اثنان مستويات ، وللفرقان مستويات تقابلها ، فانه ، كما قررنا ، التقوى شجرة ، والفرقان ثمرة .. « وعلى قدر اهل العزم تاتى العزائم » ..

واغلب مستويات التقوى ما يكون للمؤمن العادى ، وهو مستوى الحلال البين ، والحرام البين ، .. وبينهما يتارجح « بندول » الفكر .. واول منزلة تلى منزلة المؤمن العادى ، منزلة الورع .. والورع هو الحذر ، الشديد الحذر ، المتيقظ الوجدان ، الشديد التيقظ .. فهو لا يعمل الا اذا علم ، وهو قليلاً ما يعلم ، وذلك لزيادة شكه على علمه ، ولذلك قيل عنه : انه هو الذى يترك سبعين باباً من الحلال ، خوف الحرام .. يترك ما لا باس به ، خوف ما به باس .. وهذه مرحلة هامة جداً من مراحل التنبه الفكرى ، تلى التبدل الفكرى ، الذى يكون عليه المؤمن العادى .. ثم تكون المنزلة الثالثة ، وهى تلى منزلة الورع ، وهى منزلة صاحب اليمين .. وفيها ، بفضل الله ، ثم بفضل المجاهدة فى



المنزلتين السابقتين ، يكون السالك قوى الفكر ، قوى العزيمة ..  
لا تتلبس عليه وجوه الراى ، فهو يدرك بسرعة ، ويميز بدقة ، ويحمل  
نفسه على العمل بعزائم الامور .. وهو انما سمى صاحب اليمين لان  
عمله ضد رغائب نفسه ، فى غالب احواله ، كاته ضد صاحب الشمال ..  
ثم تلى هذه المنزلة ، بفضل الله ، ثم بفضل المجاهدة فى المنازل السوابق ،  
منزلة البر .. والبر اكثر ادراكاً من صاحب اليمين ، واكثر تسامحاً ،  
فهو رفيق بنفسه ، وبالناس ، وذلك بفضل سعة علمه .. فان صاحب  
اليمين ، حين قبضته بقية الورع الذى ورثه من منزلة الورع ، التى  
خرج عنها ، ولما يتخلص من عقابيلها ، بسط العلم صاحب منزلة  
الابرار .. فترى البر سمحاً ، متسامحاً ، واسع الافق ، يرى الوجوه  
المختلفة لكل قضية فكرية ، او سلوكية ، تعرض عليه ، بطريقة فيها  
سعة ، وفيها دقة .. ثم تلى منزلة البر منزلة المقرب .. والمقربون هم  
الذين يكونون عند ربهم ، غالب احوالهم ، فهم علماء ، قد وسع العلم  
عليهم ماضيق الجهل على سواهم .. فاصبحوا ، بفضل الله ، ثم بفضل  
سعة علمهم ، رحماء ، طيبين ، متسامحين ، محبين للاشياء ، والاحياء ،  
فى سلام مع ربهم ، ومع انفسهم ، ومع الناس .. يدعون الى الرضا  
بالله ، والمصالحة مع الناس ، وينشرون الحب ، والسلام ، والمسرة ،  
بين الناس ، كما ينشر الزهر العطر ، وكما تنشر الشمس النور ،  
والحرارة ، والدفع .. هؤلاء هم ملح الارض ، عرفوا ، او لم يعرفوا ..  
وتقوى هؤلاء هى عمل ، او ترك للعمل ، ابتغاء وجه الله .. وزمنهم فكر  
متصل .. فجميع اوقاتهم معمورة بالفكر ، والعمل .. وفكرهم ليس  
تعملاً ، وانما اصبح طبيعة ، تنبع فيهم المعانى ، والمعارف ، كما ينبع الماء  
النمير من العين الثرة ، وقد تطهرت من اوساخها ، واوضارها .. وعبادة  
المقربين الاستقامة .. والاستقامة ان تكون على السراط المستقيم ، فى  
الفكر ، والقول ، والعمل ، فلا تميل يسرة ، ولا يمنة .. ولا تتم الاستقامة  
الا لمن تخلص من ذنبه ، ما تقدم منه ، وما تاخر .. وهيهات !! ولكن هذا  
موعود الله لاهل قرباه ، وموعود الله لابدآت ، فوعده ، تعالى ، غير  
مكتوب .. ولقد قال فى الآية التى صدرنا بها هذه المقدمة : « يا ايها الذين  
آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ، ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم ،  
والله ذو الفضل العظيم » .. قوله تعالى : « ويكفر عنكم سيئاتكم »



يعنى يغفر لكم خطيئاتكم الموروثة من لدن آدم .. وتلك تتمثل في الكبت على العقل الباطن المتوارث عبر التاريخ البشرى .. قوله تعالى : (( ويغفر لكم )) يشير الى الخطيئة المكتسبة ، في مقابلة الخطيئة الموروثة .. والخطيئة المكتسبة تتمثل في الكبت الواقع على العقل الباطن ، المكتسب اثناء عمر احدهنا .. وانما يكون التكفير ، والمغفرة برفع هذا الكبت ، الموروث ، والمكتسب ، وانما يكون رفع الكبت (( بالفرقان )) .. بنور العقل القوى الذى يتخلل السرايب المظلمة ، حيث ترقد الرغائب المكبوتة على حواشى العقل الباطن خلال ملايين السنين .. وقد سمي ، تبارك وتعالى ، هذه السرايب المظلمة حول العقل الباطن بالرين ، واليهانسب غفلتنا ، وجهلنا ، وحجبنا عن الحقيقة ، فقال ، تبارك وتعالى : (( كلا ! بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون \* كلا ! انهم ، عن ربهم ، يومئذ ، لحجوبون )) .. فبقدرما يرفع هذا الرين — هذا الكبت — بقدر ما تكون قوة العقل ، ودقة الفكر ، ووحدانية البنية البشرية .. واصحاب هذه البنية الموحدة هم اصحاب العقول التى ، بقوة فكرها ، تفلق الشعرة ، وتملك التمييز بين فلقتيها : ايهما ابيض ، وايهما اسود .. وبقدر قوة التمييز تكون سلامة السلوك ، وسلامة القلب ، وصفاء الذهن ...

### \* الاستقامة هي الوجود ..

الاستقامة هي الوجود الكامل ، الذى لا يتوزعه الوهم بين ماضى انقضى ، ومستقبل غائب ، لما يحن حينه بعد — فالاستقامة هي العيش في اللحظة الحاضرة ..

والاستقامة اصعب الامور على العارفين ولذلك فقد قال المعصوم : شيبتنى هود ، واخواتها .. يشير الى قول الله تعالى ، من سورة هود : (( فاستقم ، كما امرت ، ومن تاب معك ، ولا تطغوا .. انه بما تعملون بصير .. ))

فانت ، اذا استطعت ان تعيش في اللحظة الحاضرة ، مشغولاً بتجويد الواجب المباشر ، من غير ان تذهب نفسك ، اسفاً على الماضى ، ولا خوفاً من المستقبل ، فانك تكون قد وفقت الى سر الحياة الاعظم ، حيث تستمتع بكمال حياة الفكر ، وكمال حياة الشعور ، وحيث تنتصر على المرض ، والشيخوخة ، والموت .. نلك موعود الله .. وانما ينال موعود الله ، بفضل الله — (( والله ذو الفضل العظيم )) — ثم بفضل الفكر ..

الفكر ؟؟ اى فكر تعنى ؟؟ هل تعنى اى فكر ؟؟ لا !! ولاكرامة !! وانما اعنى الفكر المروض بادب القرآن .. ادب حقه ، وادب حقيقته ..



# بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الابن المبارك توفيق السنوسى ،

تحية طيبة ..

وبعد فيسرني ان أجد الفرصة للرد على استئلتك الطريفة ،  
وفي نفس الوقت لابد من الاعتذار عن الايجاز الشديد ، وذلك  
لاستعجالك أنت من جهة ، ولضيق الوقت الذى لدى من جهة أخرى .

\* هل صحيح ان الله اذا احب عبدا ابتلاه ؟

نعم !! فان معنى محبة الرب للعبد تقريبه منه ، وهى انما  
تكون فى مقابلة بروز محبة العبد للرب .

والابتلاء انما هو امتحان صدق العبد فى ادعائه محبة الرب ..  
والغرض منه تفريغ قلب العبد عن حب ما سوى الله ، حتى يجىء  
الحب صادقا ، وصافيا .. ولذلك يقول تعالى « ألا لله الدين  
الخالص » ..

\* هل يؤمن الاسلام ب « نبل الحزن » ؟ وهل الحزن اعمق

من الفرح ؟

« نبل الحزن » فى المعنى الذى يريده الاسلام يعنى ادامة  
الفكر فيما يجب للرب على العبد من حقوق ، وفى مبلغ تقصير العبد

عن الوفاء بتلك الحقوق ، وهذا تفكير يورث تواضعاً ، وانكساراً ،  
ويبعد البطر ، والرضاء عن النفس ، والتكبر ، وفيه قال تعالى  
« أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى » ولذلك يحكى عن النبى انه قال  
« يا أمة محمد !! والله ما أحد أغير من الله ان يزنى عبده ، أو تزنى  
أُمته ، يا أمة محمد !! والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ، ولضحكتكم  
قليلاً » وقد كان صلى الله عليه وسلم « متواصل الاحزان »

فالحزن فكر متصل ، يورث التواضع ، والسكينة الى جانب  
الله . وهو بذلك أعظم من الفرح ، الا ان يكون فرحاً بالله .. فأن  
هذا وحده يكون أعظم من الحزن ، وهو أندر من الكبريت الاحمر ..  
وهذا يسوقنا الى ان الفرح على درجتين : فرح بنعم الله ، وفرح  
بذات الله .. فالفرح بنعم الله الحزن أعظم منه ، والفرح بذات الله  
أعمق ، وانبل من الحزن النبيل ، وهو كما قلنا أندر من الكبريت  
الاحمر ، لانه يقوم على محض العلم بالله ..

**\* يتحدث الاستاذ محمود محمد طه في مؤلفاته عن الاخلاق**

**الالهية . هل يعنى هذا ، من قريب ، أو بعيد ، انه يمكننا — بتشبهنا  
باخلاق الله — ان نكون جزءاً من الله ، أو نذوب في الذات الالهية ،**

**ونتحد معها ؟**

نحن نشارك الله في اخلاقه ، فقد خلقنا ، تبارك وتعالى ، على  
شاكلته ، ولكن أخلاقنا في طرف النقص ، واخلاقه ، تبارك وتعالى ،  
في طرف الكمال .. ثم ندبنا الى ان نتخلق باخلاقه ، في معنى ما  
كتب علينا ان نعبده .. فتخلقنا باخلاقه في بادية  
أمرنا تكلف منا للترفع ، والترقى ، والتسامى ، الى  
ان يصبح هذا التكلف طبعاً ، فنكون قد سيمونا ،

وتجافينا عن طرف النقص ، نزوعا منا الى طرف الكمال • والذات  
الالهية مثلنا الأعلى في هذا التطور ، ولكننا لن نكون جزءا منها ،  
لأنها لا تتجزأ • ولن نذوب فيها ، إلا في معنى اننا نذيب نقائصنا  
في كمالاتها • ولن نتحد معها ، لأنها مطلقة ، ونحن محدودون ••  
وانما أمرنا معها أمر المتطور من بداية لكمال الى نهاية للكمال ،  
ولكن هذه النهاية مطلقة ، فيصبح حظنا من التطور سرمدياً ،  
مستمراً ••• فليس لكمال البشر نهاية ، لأن نهايتهم الله ، وليس لله  
نهاية •• « وأن الى ربك المنتهى » ولا منتهى •• بايجاز ؟ كمال  
الانسان أن يكون « الله » •• ولن يكون ! لأنه ليس لله نهاية فيبلغها  
ولا صورة فيكونها ، وأنما كمال الانسان ، في هذا الباب ، أن يكون  
مستمر التكوين — مستمر التطور ، من النقص الى الكمال — يستريد  
كل حين جديد من حياة الفكر وحياة الشعور •• وذلك بتجديد فكره ،  
وتجديد شعوره ، فهو منطلق لا يقف ، الى غاية لن يبلغها ، لأنها ليست  
لها نهاية فتبلغ — لأنها مطلقة •• ولكن نهاية العبد كمال الرب •

\* هل المسكنة HUMILITY فضيلة يحضن عليها الاسلام ؟

نعم !! وهى تعنى عنده التواضع الفكرى ••• تعنى معرفة  
العقل لصغر شأنه بازاء الكمال الالهى الذى يتعالى ، ويتعاضم عن  
أن يحاط به • والمسكنة عندهم تعنى العجز عن الادراك المحيط  
بالله ، ومن أجل ذلك قالوا : « العجز عن الادراك ادراك » ، يعنون أن  
شعر العقل بقصوره عن الاحاطة بالمعرفة الالهية فقد ادرك •••  
وما ذاك الا لأن الاسلام يعنى الاستسلام الواعى للارادة المحيطة  
بالاكوان • ولا يتم الاستسلام وفى النفس بقية ادعاء قدرة •••  
فالمسكنة شعور بقصور الارادة البشرية بازاء الارادة الالهية ••  
وهذا أيضا هو معنى الفقر عندهم •• ولقد قال محيى الدين بن  
عربى :

دخلوا فقراء على الدنيا \* وكما دخلوا منها خرجوا

دخلوا بلا أرادة، وخرجوا بلا أرادة • وشاهدوا، بين دخولهم على الدنيا وخروجهم منها ، ان الارادة للواحد المريد • وبهذا المعنى الاسلام يطلب المسكنة ، ويحض عليها • قال تعالى في حديث قدسى للنبي داود : « يا داود ! انك تريد ، واريد ، وأنا ما يكون ما اريد • • • » فأن سلمت لما اريد ، كفيتك ما تريد ، وان لم تسلم لما اريد ، اتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون الا ما اريد • »

\* هل يحضنا الاسلام على مقابلة الكراهية بالحب ، والتسامح ،

على طريقة « ادر له خدك الايسر ؟ »

نعم !! ولكنه لا يجعل ذلك حظ العوام • • • وإنما يطالب به العارفين • • فشرعية العارف معرفته ، والمعرفة تقول « ان اعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك » ولذلك فإن من لطمك أنما لطم عدوك الداخلي ، فلا تظن أنه هو عدوك ، فتنب الى مصاولته ، وإنما هو صديق في ثياب عدو ، وإنما فعله هذا بك نصرة منه لك على عدو في ثياب صديق — هو نفسك الجاهلة — وهم يعنون ان نفسك الجاهلة ، لسوء أدبها مع الله ، لطف بها ، فقيض لها من يؤدبها ، فجاعتها اللطمة ممن لطمها ، فلا تدافع عنها ، واطلب لها من التاديب المزيد — ادر له خدك الايسر ، ذلك لأنها ، ان أحسنت الادب مع الله ، فلن يكون لاحد عليها من سبيل ، لأنها تكون ، حينئذ ، قد انتصرت على كل شيء • • واما العوام فشرعية الاسلام لهم ( من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ) • • ( وهم درجات عند الله ) • •

ان الاسلام ( يهودى — مسيحى ) فهو يطالب العوام بما طالب



به موسى اليهود ، على تطوير له في ذلك .. ويطالب الخواص بما  
طالب به المسيح النصارى ، على تطوير له في ذلك أيضا ... » وجزاء  
سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا ، واصلح ، فأجره على الله ، أنه  
لا يحب الظالمين .. »

وبداية الخواص هي بداية العوام ، ولكنهم اقدر من العوام على  
التطور والارتفاع في سلم الكمال ، فحيث يظل  
العوام في أول السلم ، يرقى الخواص المراقى ..

\* هل التفكير الفائق في اصل الدين ؟ وهل صحيح ان الله لم يخلق

هذا العالم الا ليعبده هذا العالم ؟ والا فما الغاية وراء الخلق

الالهى ؟

الغائية اصل الدين .. بل هي اصل الاصول فيه — فلامكان  
للصدفة ، لا في كبيرة ، ولا صغيرة .. » وما خلقت الجن والانس  
الا ليعبدون « تحكى هذه الغائية ، أفضل حكاية .. وهذا يجيب على  
الشرط الثانى من سؤالك ، ولكن يبقى ، بعد ذلك ، شئ ، هو : ما معنى  
العبادة ؟ وهل الله محتاج للعبادة ؟

من الوهلة الاولى نقرر ان الله غنى عن العبادة — « يأيها الناس  
أنتم الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد » فالناس هم المحتاجون  
الى العبادة ، لا الله .. والعبادة ، ماهى ؟ اجملها المعصوم حين قال  
« تخلقوا باخلاق الله » ان ربي على سراط مستقيم » .

واعلى اخلاق الله الاطلاق — الحرية الفردية المطلقة .. ولذلك  
فان أعلى مراتب العبادة حسن التصرف في الحرية الفردية المطلقة ..  
وهذه تقتضى قوة الفكر ، ودقته ، ومضاءه في مراتب القول والعمل ،  
حتى يتحقق العابد ، الموحد ، بمرتبة توحيد ذاته بتوحيد فكره وقوله  
وعمله .. قال تعالى في ذلك « يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا

تفعلون ؟ كبر حقنا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » فاذن الغاية التي من أجلها خلقنا ان نحقق كمال ذواتنا ، عن طريق العبادة . وذلك بفضل ما تورثنا اياه العبادة من قوة الفكر وحدته ومضائه — قال تعالى « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم . ولعلهم يتفكرون » فكان الحكمة وراء شريعتنا ان نفكر ، والفكر ليس غاية في ذاته ، وانما هو وسيلة الى تحقيق الحياة الكاملة ، وهي الحياة التي تستمتع بالحرية الفردية المطلقة ، وتحسن التصرف فيها — فالحياة الكاملة هي الغاية من خلقنا — خلقنا لنكون كاملين كمال الله . وهيهات !!

✽ ثمة آيات في القرآن تبخس الدنيا ، وتصفها بالفناء .. هل يقول

الاسلام بالانكار المطلق لقيمة الحياة ؟ ما تفسير الاستاذ محمود

للآية القائلة بالا نسال عن اشياء ان تبد لنا تسوينا ؟

الاسلام يقسم الحياة الى درجتين ، بينهما اختلاف مقدار ، لا اختلاف نوع : الحياة الدنيا ، والحياة العليا .. فاما الحياة الدنيا فهي حيوانية ، واما الحياة العليا فهي انسانية .. فالانسان ، مادامت مسيطرة عليه صفات الحيوان ، خضع لها ، أو قاومها ، فهو في الحياة الدنيا .. فاذا تخلص من صفات الحيوان ، بفضل الله ، ثم بفضل المجاهدة المستمرة لدواعي هذه الصفات ، فقد اصبح في الحياة الاخرى ، ، أو الدار الآخرة ، كما يرد عنها التعبير في بعض الاحيان . وقد جعل الموت الحسى فاصلا بين الحياتين . فكأنه ، ليدخل الانسان المجاهد لدواعي صفات الحيوان فيه ، في الحياة العليا ، لا بد له من تجربة الموت الحسى . ولكن الموت المعنوي يحقق طرفا من هذا الدخول ، والموت المعنوي يعنى ان تسكن دواعي صفات الحيوان في الانسان تحت قهر العلم في مستوى علم « حق اليقين » ولذلك فقد

قال المعصوم « موتوا قبل ان تموتوا » يشير الى هذا الموت المعنوى . . فالحياة الدنيا ، أو حياة الحيوان هذه ، هي التي يشدد القرآن عليها النكير ، ويصفها بالفناء ، والزوال ، ويندب الناس ليزهدوا فيها ، ليرتفعوا الى انسانيتههم في الحياة العليا — الحياة الانسانية — . فالاسلام لا يقول بالانكار المطلق لقيمة الحياة ، وانما يميز بين قيم الحياة ، ويجعل وكده تسيير الناس الى الحياة الانسانية بترهيدهم ، وازعاجهم عن الحياة الحيوانية . ومعنى فناء الحياة الدنيا افضاؤها ، رضى الانسان ، ام لم يرض ، الى الحياة العليا — « يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » .

واما تفسير الآية « يا أيها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم » . وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم . عفا الله عنها ، والله غفور حلیم \* قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوها بها كافرين » فانها تعني نهى الاصحاب عن أن يكثرُوا من الاسئلة عن الحرام والحلال، وعن أمور في الدين سكت عنها النبي ، وذلك لأن ما سكت عن تحريمه فالاصل فيه الحل . وفي الحل سعة ، وفي التحريم تضيق . وكذلك الامر في مسائل التكليف ، فان الالاحاح في الاسئلة عما سكت عنه قد يفزل القرآن بتجديد تكليف يزيد في ثقلها . وكذلك الامر في مسألة العقيدة . وانت سألت عن الآية الاولى فقط ، ولكنني أوردت لك الآية الثانية لأن فيها بيانا للاولى ، فكأنه قال لا تسألوا النبي عن أمور في العقيدة ، أو في التكليف ، سكت عنها النبي . وان تسألوا عنها فان الله يبيديها لكم في القرآن ، فتسؤكم لانها تجيء بتكليف زايد ، فتدخلوا به في الحرج ، بعد ان كنتم قبلها في السعة ، وقد كان النبي يقول لأصحابه « يا أيها الناس اتركوني ما تركتكم » .

## \* كيف يتواجد الله في كل مكان وفي لا مكان ؟

وجود الله لا يوصف بالمكان ، لأن المكان مخلوق ، ومحدود ، فلا يحوى المطلق .. ولا يوصف باللامكان ، لأن اللامكان متصور ، والله مطلق لا يدرك وجوده التصور « فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك »  
فاذا قلنا ان وجود الله يتنزه عن المكان ، والزمان ، فليس معنى ذلك انه يوجد في اللامكان ، ولا اللازمان ، وانما هو أيضا يتنزه عن هذا التصور ، فوجوده مطلق لا يتعلق به الوهم ، ولا التصور ، ولا الادراك .. انما الادراك يدرك ضرورة وجوده ، لا كيفية وجوده .. فليس للكيف ههنا مكان .

## \* كيف يتسنى لنا فهم الله ، او حتى التوصل الى وجوده اذا كان

الله لا يشبهنا في شيء ، من قريب او بعيد ، وليس كمثله شيء ؟

ليس معنى قوله تعالى « ليس كمثله شيء » اننا لا نشبهه .. لا من قريب ولا من بعيد .. بل الحق اننا نشبهه تعالى . وقد قال المعصوم « ان الله خلق آدم على صورته » .. وقرينة الشبه قائمة بيننا وبينه تعالى ، فانه تعالى عالم ، ومريد ، وقادر ، وكذلك الانسان ، خلقه الله عالما ، ومريدا ، وقادرا ، ومن أجل هذه القرينة فاننا نعرف الله ، ولولاها لما أمكن أن نعرفه .. راجع الاجابة على السؤال نمرة ٣ .

## \* المقاساة « Suffering » تشكل ركنا هاما من اركان المسيحية

.. ما قول الاسلام في المقاساة ؟

المقاساة جاءت للمسيحية عن طريق اعتقادهم موت المسيح على الصليب ، من أجل تقديس البشرية من الخطيئة الاساسية التي كسبها



أبوها آدم .. وهذه القاعدة هي أصل الأصول في المسيحية .. ولكن ليس لها في الاسلام مكان .

الصبر هو ما يقابلها في الاسلام .. فالقرآن مليء بالحض على الصبر ، وبوعد الصابرين بعظيم الثواب .. « يأيتها الذين آمنوا اصبروا ، وصابروا ، ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » .. « فأصبروا » حض على الصبر . « وصابروا » زيادة في الصبر ، حتى تصبح مغالبة للاعداء على الصبر . « ورابطوا » الزموا الصبر ، والمصابرة ، على النهوض للاعداء الخارجيين والداخليين .. في الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر ، وليكن صبركم اتقاء لله ، لا تشوفا ، ولا سمعة ، ولا رياء . فان فعلتم ، فانه يرضى لكم أن تفلحوا في نيل ما عند الله من لطائف القرب .. هذا في الحض على الصبر . وفي الوعد باجر الصابرين يقول تعالى : « يأيتها الذين آمنوا استعينوا بالصبر ، والصلاة . ان الله مع الصابرين » وقوله « ان الله مع الصابرين » هو قمة الموعود بالاجر الجزيل .. فكان العاملون حين يكون اجرهم على عملهم الجنة ، يكون اجر الصابرين على صبرهم الله نفسه ، وما فوق ذلك مبتغى لمبتغ .

والفرق الاساسي في النظرتين : المسيحية والاسلامية ، الى المقاساة والصبر ان المقاسى قد يتصيد المقاساة ، ويرى في ذلك فضيلة ، ولكن الصابر لا يتصيد الصبر ، وانما يسأل الله العافية ، فاذا اصابه مكروه صبر عليه ، ثقة بالله ، وتوكلا عليه ، لانه أولى بنا منا ، واعرف بمصالحنا منا ، وارحم بنا منا ، واقدر على توصيل الخير الينا منا .. قال تعالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم ، وانتم لا تعلمون » .

« وبشر الصابرين ، الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا : انا لله ، وانا اليه راجعون » هذا هو رأى الاسلام فى المقاساة — صبر على البلاء حين يقع ، واحتساب فى سبيل الله ، ولكن العافية خير منه ، واحب الى النفوس • وليس من الاسلام تصيد المصائب — قال احد الاصحاب « اللهم ! أسألك الصبر » فقال النبى : « سألتك الله البلاء • سلوه العافية » فكان الصبر لا يكون الا على البلاء ، فمن سأل الصبر فكانما سأل البلاء ، وسؤال العافية خير عند الناس ، وعند الله •

**\* هل شجرة التفاح التى اكل منها آدم وحواء فى الجنة هى شجرة**

**المعرفة — معرفة الخير والشر وهل يعنى هذا ان المعرفة خطيئة ؟**

هذه الشجرة يمكن ان تكون أى شجرة • • المهم انه قد وقع عليها التحريم ، والتحريم حكم شرعى ، فليس هناك شىء هو فى عينه حرام ، وعندما خالف آدم الامر بالتحريم انما اخطأ لانه اختار ارادته هو عن امر ربه ، ولذلك فقد غوى • • فعندما كان آدم طائعا لله لم يكن يعرف الشر ، فهو فى الخير المطلق ، وعندما اختار نفسه عن ربه تورط فى الشر • • وسميت الشجرة التى اكل منها شجرة معرفة الخير والشر — وعندنا ان الشجرة التى اكل منها آدم هى شجرة التين ، فان شجرة التين ، حسيا ، ترمز الى النفس الامارة • • وترمز الى الزوجة — حواء — ولذلك فان المعصية ، بالاكل منها ، تداعت الى اتصال آدم بحواء جنسيا ، قبل ان يؤذن له ، فتكون له ، بذلك الاذن ، زوجا شرعية ، حلالا ، طيبة •

واذن فالمعرفة ليست خطيئة ، وانما الخطيئة الجهل ، وهو هنا

يتمثل فى مخالفة امر الله — « وعصى آدم ربه ، فغوى » •

**\* ما دور الكشف فى التوصل الى وجود الله ؟**

الكشف معناه ظهور الحقائق للعقل الواعي ، من العقل الباطن ، ظهور تجربة ، وذوق ، وهو ، من ثم ، ظهور يقين لا يدركه الشك . . وهو لا يتأتى إلا عن ممارسة عملية للعبادة ، في طور مجود تجويدا كبيرا في العمل بالشرعية — وإلى الكشف وردت الإشارة في القرآن « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » . . « واتقوا الله » تعنى اعملوا بالشرعية باخلاص ، وتجويد ، « ويعلمكم الله » تعنى يعلمكم الحقيقة — والحقيقة هي معرفة اسرار الالوهية .

فدور الكشف في التوصل الى وجود الله ، وإلى معرفة الله ، هو الدور الاساسى ، والاصلى وان شئت فقل الوحيد .

**\* بعض السور تشير الى ان الله يسمع ، ويرى ، ويتكلم ، ويستوى**

**على عرش . ما تفسر ذلك ؟**

أولا ، كلمة الله تطلق في القرآن ، في المعنى القريب ، على الانسان الكامل ، وفي المعنى البعيد ، على الله ، تبارك وتعالى في اطلاقه . . ولكن الله ، تبارك وتعالى ، في اطلاقه ، فوق الاسماء ، والصفات — هو منزّه عن الاسماء — ولكنه تنزل الى مرتبة الاسم ، فسمى نفسه « الله » ، وتعلقت به جميع الصفات ، وجسده الانسان الكامل . . فاسماء الله الحسنى كلها اسماء ، وصفات للانسان الكامل ، الذى اكتملت فيه الصورة الالهية في عبارة « ان الله خلق آدم على صورته » . . وهى لاحظ لها من الذات المطلقة الا الاشارة . . وفي هذا المستوى فان الله ، في اطلاقه ، يسمع بذاته ، لا بحاسة ، ويرى بذاته ، لا بحاسة ، ويستوى على العرش بلا كيفية يمكن تصورها . لان كل شيء يتعلق بالذات الصرفة فهو فوق التصور ، كما سبقت الى ذلك الاشارة .

واما الله بالمعنى القريب — الانسان الكامل — فهو يسمع بذاته ،

ويرى بذاته ايضا ، لا بأذن ، وعين ، لان كل حاسة منه قد صارت  
كله ، فهو ، كله ، في أى جزء منه — فابن الفارض كان يقول :  
وصرت موسى زماني \* مذ صار بعضى كلى  
وهذه حالة تحققها قمة التوحيد ، لان قمة التوحيد ان يكون  
الموحد ( بكسر الحاء ) وحدة .

\* ما علاقة الخالق بمخلوقاته في الاسلام ، وبالذات ، علاقته

### بالانسان ؟

ليس في الوجود الا الله .. والمخلوقات هي مظاهر قدرته — هي  
قدرته مجسدة — وقدرته ليست غيره ، وانما هي ، عند التناهي ، ذاته  
.. فالمخلوقات هي الله .. والانسان طليعتها في ذلك ، في اعتبار  
العروج الى الله من درجات البعد ، بين القدرة ، والارادة ، والعلم ،  
والذات .. فالمخلوقات هي الله ، ولكن الله ليس المخلوقات .  
\* هل لله ارادة وهل تفسر الخلق بانه عملية فائية ، اى تجسيد

### لغاية في ضمير الله ؟

الاجابة على هذا السؤال كلها متضمنة في الاجوبة القـرية

### الماضية .

\* ما الصعوبات التى تحف الفصل بين الله ومخلوقاته ؟

هذه الصعوبات كثيرة ، ولكنها ، في جملتها ، هي مقام التعدد من  
الوحدة .. ووظيفة التوحيد ، الذى شعاره عندنا في الاسلام « لا اله الا  
الله » انما هي اعطاء الموحد النظرة الثاقبة ، الدقيقة ، التى يميز بها  
بين « الله ومخلوقاته » ، حتى يعيش مع الله ، بالحقيقة ، ومع خلقه ،  
بالشريعة .



✽ الى اى حد تعتقد ان اله ارسطو يشبه الله في الاسلام ؟  
رأى ارسطو عن الله يتفق في جملته مع الاسلام ، ويختلف في  
دقائق التفصيل —

في كتاب « السياسة » الشهير يعرف ارسطو القانون بأنه  
« العقل الذى لم يتأثر بالرغبة » ويقول « ان الذى يأمر بحكم القانون  
قد يسوقه ذلك الى أن يأمر بحكم الاله ، أو العقل وحده ، ولكن الذى  
يأمر بحكم الانسان يضيف عنصرا من عناصر الحيوان ، لان الرغبة  
حيوان وحشى ، والهوى يفسد عقول الحكام حتى ولو كانوا افضل الناس »  
فهذا القول يحكى فكر ارسطو عن الله « العقل الذى لم يتأثر برغبة »  
يعنى العدالة المطلقة ، في مقابل العدالة النسبية — العدالة الالهية ،  
في مقابل للعدالة الانسانية — وهو قول يحكى ، في جملته ، رأى  
الاسلام عن الله .. ثم ان ارسطو يرى ان الله هو المحرك الاول ،  
الذى تنتهى عنده الحركة .. واغلب الظن عندى ان ارسطو يرى ان  
المحرك الاول الذى حرك الاشياء قد أودع فيها حركتها — حركة  
تؤدى الى حركة ، بقوانين منضبطة — وهذا ما يعطيه الفكر . وقد  
كان الفكر ابرز خصائص ارسطو . ولكن الله في الاسلام وراء الفكر ..  
والذى يؤدى اليه الكشف — وهو موضوع سؤالك نمرة ١٢ — هو ان  
ليس هناك ، في الحقيقة ، سبب يؤدى الى سبب ، وانما هو ترتيب  
تعاقبى يستعد به المحل لتلقى الفيض الالهى ، في كل لحظة ، فتظهر  
الحركة ، بعد استعداد المحل لها ، من عند الله — فالنار ، مثلا ، لا  
تتحرق لمجرد وجودها ، وانما تحرق حين يرد الاذن الالهى بالاحراق ،

وكل ما هناك ، ان وجود النار دليل على استعداد المحل لوزود الاذن  
الالهى بصدور الحركة المقبلة ،وهى الاحراق ، لمن عرض يده للنار ،  
مثلا .. هذا التفصيل هو من دقائق التوحيد فى الاسلام ، وليس  
لارسطو فيه قدم ، وهو يمثل اختلاف فكرة ارسطو عن الله ، عن  
فكرة الاسلام .

### \* ما تفسير الاسلام للمعجزة ؟

ان الوجود ، فى جوهره ، روحى .. والمادة مظهره ، فاذا تبعت  
الحوادث المظهر اصبح امرها عاديا ، ولكنها اذا تبعت الجوهر — وهو  
الروح — ظهر عندنا نحن ما نسميه معجزة .. فمثلا الجسم ، وهو  
مظهر الروح ، يخضع للعلة ، والموت ، ولكن الروح غير خاضع لايهما  
.. فاذا كان هناك رجل هو من القوة بحيث يتصرف فيما وراء المادة ،  
وابرز حكم الروح على الجسد ، ابراه من العلة فى لحظة ، أو اقامه  
من الموت ، بعد الموت .. هذه معجزة .

### \* الى اى حد نحن مخيون ، والى اى حد نحن مسخرون ؟

الاجابة على هذا السؤال تحتاج لتفصيل وقد وردت فى كتابنا  
« الرسالة الثانية من الاسلام » بطريقة تغنيك اذا رجعت اليها .  
\* هل تصلح نظرية العقاب والثواب فى يوم الحساب اساسا  
للاخلاق ؟

اساسا للاخلاق تصلح .. ولكن ليست لقمة الاخلاق .. بل انه ،  
فى الحق ، ليس هناك اساس للاخلاق غيرها ، لأن الانسان بطبعه لا  
يفعل امرا ، ولا يترك ، الا بحوافز الكسب ، والخسارة .  
ولكن عندما يتسامى الانسان فانه يجد حافز فعل الخير فى الخير

نفسه ، ولا يكون التسامى الا عن بداية اساسها حافز الثواب ،  
والعقاب .. وبخاصة في يوم الحساب .. لان ذلك يحمل معنى المراقبة  
الدقيقة على فعل الخير ، وفعل الشر ، حتى حين يكون الفاعل في مأمن  
من رؤية السلطة الزمنية ، لأن الذى يثيب ، ويعاقب ، يوم الحساب ،  
هو المطلع على الضمير المغيب — « يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى  
الصدور » ..

### \* لماذا يمنع الله التفكير في ذاته ؟

لأن الفكر لا يعمل الا في منطقة الثنائية ، فبضدها تتميز عنده  
الاشياء ، — وليس لذات الله ضد — فليس للفكر فيه مجال — وانما  
التفكير في مخلوقاته .. ولقد قال تعالى — « ومن كل شئ خلقنا زوجين  
لعلكم تذكرون » وقال : « سبحانه الذى خلق الأزواج كلها ، مما تنبت  
الأرض ، ومن انفسهم ، ومما لا يعلمون » .  
واما ذاته فلا تحيطها العبارة ، حتى ولا عبارة القرآن .. واقرب  
شئ الى التعبير عنها قوله تعالى « ليس كمثله شئ » فذاته وحيدة  
مطلقة ، تعبى الفكر ، وتسوقه الى الضلال .. هذا ، اذا لم يهده  
الضلال الى العجز ..

فهو ، اذن ، انما منع عن التفكير في ذاته لأن التفكير فيها يضل  
الفكر .

قال المعصوم « تفكروا في مخلوقات الله ، ولا تتفكروا في ذاته ،  
فتضلوا » ..

### \* هل يقول الاسلام بخلود الروح ، وهل الايمان بخلود الروح

ضرورى للايمان بوجود الله ، ام العكس هو الصحيح ؟

الاسلام عنده ان جميع الاشياء ، من ادقها الى اعظمها ،  
جمادها ، وحيها ، كل منها ، ذو شكل هرمى ، له قمة ، وله قاعدة —

القمة تمثل الروح ، والقاعدة تمثل الجسد — والاختلاف بين القاعدة والقمة اختلاف مقدار . والقاعدة فانية — متحركة في تطور مستمر ، تطلب القمة — والقمة ليست باقية على صورة واحدة ، ولكنها متحركة ، في تطور مستمر ، تطلب نقطة مركز الوجود ، وهي الله . فالخالد في الاسلام ليس معناه الذي لا يتغير على الاطلاق ، وانما هو الذي يتغير ، أو قل ، يفنى ببطء اكثر من الفانى ، والفانى هو الذي يتغير بسرعة سريعة . قال تعالى « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ، ذو الجلال ، والاکرام » . يبقى ، البقاء النسبى ، الوجه الذى يلى الله من الاشياء — وهو قمة هرم كل شىء — ويبقى ، البقاء المطلق ، وجه الله المطلق ، وتلك الذات المطلقة .

فالايمان بخلود الروح ، بهذه الصورة ضرورى للايمان بوجود الله ، لأن معرفته من اصول المعرفة ، فالايمان به ، إذن ، من اصول العقيدة — والعبارة التى اوردتها « ام العكس هو الصحيح ؟ » تعنى ان الايمان بالله ضرورى للايمان بخلود الروح — وهذا بالطبع اصح من ان يكون الايمان بخلود الروح ضروريا للايمان بوجود الله ، ولكن الايمان بخلود الروح اسهل على المبتدىء من الايمان بالله ، ولذلك فهو يكون سابقا للايمان بالله ، وهو انما كان اسهل لأن الاحلام تعينه ، وليس للاحلام بالله تعلق . فالكبار يستدلون بوجود الله على خلقه ، والصغار يستدلون بوجود خلق الله ، على وجود الله . والقاعدة لكليهما قوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى انفسهم » ، حتى يتبين لهم أنه الحق . أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟



\* هل يفصل الاسلام فصلا قاسيا بين الجسد والروح ؟ اذا كانت

الاجابة نعم ( ١ ) كيف نفسر الفعل المتبادل بين الجسم

والعقل (ب) ما هي النتائج الاخلاقية ، والتوحيدية ، المترتبة على

هذا الفصل ؟

الاسلام لا يفصل بين الاشياء الظاهرة ، المغايرة لبعضها

البعض ، لأنه دين التوحيد للمظاهر المختلفة في كل واحد متناسق ،  
وعنده ان الاختلاف بين الجسد والروح ، هو الاختلاف الذي يكون بين  
القاعدة والقمة للشئ الواحد — انما هو اختلاف مقدار ، لا اختلاف  
نوع — فالجسد روح في حالة من الاهتزاز تتأثر بها حواسنا — والروح  
مادة في حالة من الاهتزاز لا تتأثر بها حواسنا ، وعمل العبادة ، في  
العابد ، هو ان يرفع ذبذبة جسده الغليظ ، من كونها بطيئة ، ثقيلة ،  
لتصبح سريعة ، خفيفة .. ويصبح ، بذلك ، الجسد روحانيا .. وتصير  
الظلمة نورا ، والجهل علما ، والقيود حرية .

\* ما مكان الانسان في الكون ؟ أهو سيد المخلوقات ؟

نعم !! هو خليفة الله على الوجود العلوي ، والسفلي .. المنظور  
منه ، وغير المنظور .. هو بين الله ، في اطلاقه ، وبين جميع خلقه —  
« واذا قال ربك للملائكة ائني جاعل في الارض خليفة » ثم خلق آدم  
على صورته ، ليقوم بتدبير مملكته ، وفق مرضاته .

\* اين توجد النار والجنة ؟ في زمان غير زماننا ، ومكان غير عالمنا ؟

اهما البعد الرابع ؟

القاعدة التوحيدية تقول أنه ما من شئ كان ، أو يكون ، الا هو  
كائن اليوم ، وعلى هذا فان الجنة والنار موجودتان الآن ، ولكن بصورة

مختلطة بعضها مع بعض ، وسيجىء يوم يكون وجود النار فيه صرفاً ،  
وجود الجنة صرفاً — ولا اعنى الصرافة المطلقة ، فأن هذه لا تكون  
الا عند الذات المطلقة — وهيهات !! ووجود الجنة ، بجانب ، وجود  
النار ، يمثله ، فى حياتنا الحاضرة ، لحظات النعيم ، التى يلقاها احدا  
تارة ، ولحظات الشقاء ، التى يلقاها ، تارة أخرى .

وسيجىء يوم يصير فيه النعيم بلا شقاء ، الا قليلا ، الى  
جانب ، فيسمى الجنة .. ويصير فيه الشقاء بلا نعيم ، الا قليلا ، الى  
جانب ، فيسمى النار .. وهذا فى زمان غير زماننا الحاضر ، وفى  
مكان غير مكاننا الحاضر ... أما الزمان فعندما تنتهى دورة الوجود  
الحاضرة ، وتبدأ دورة للوجود جديدة — فأن دورة الوجود الحاضرة  
بدأت يوم انفصلت كواكب النظام الشمسى من سحابة بخار الماء  
التي كانت تمثل الشمس الحاضرة ، وبناتها ، التي تسمى بالكواكب  
السيارة ، والتي وردت عنها ، فى القرآن ، الحكاية بقوله تعالى :  
« أو لم ير الذين كفروا ان السَّمَوَاتِ ، والارضَ ، كانتا رتقا ،  
ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شىء حى .. أفلا يؤمنون ؟ » وهى  
ستنتهى يوم يعود هذا الفتق الى الرتق مرة ثانية ، « كما بدأنا أول  
خلق نعيده » ، فاذا عادت الاجرام الى الرتق بعد الفتق فقد انتهت  
دورة من دورات الوجود ، وبدأت دورة ، ويومئذ يبدأ زمان الجنة  
المنمازة عن النار — وتبدأ الارض الجديدة ، ( وهى الشمس ،  
وبناتها ، فى كتلة واحدة ) وتكون الشمس قد بردت ، واصبحت ، فى  
قشرتها ، صالحة لنشأة الحياة الجديدة عليها ، وفى داخلها ، لا تزال  
تلتهب ، فتكون ، على ذلك ، مكان الجنة ظاهر الارض الجديدة ، ومكان  
النار باطنها .. قال تعالى عن يومئذ « يوم تبدل الارض غير الارض ،  
والسموات ، وبرزوا لله ، الواحد ، القهار »

وتتبت الحياة من جديد ، في دورتها الثانية ، من باطن الارض على ظاهرها ، كما تثبت البذرة ، فكأن الناس يخرجون بذلك من النار ( باطن الارض الجديدة ) الى الجنة ( ظاهر الارض الجديدة ) والى ذلك الاشارة في قوله تعالى « وان منكم الا واردها ، كان على ربك حتماً مقضياً . » ..

وانما يميز الجنة عن النار يحدث نموذج منه على ظهر أرضنا الحاضرة ، وكأنه صورة مصغرة لما يكون عليه الأمر في اليوم الآخر . فإنه من المقرر في الاسلام ان جنة الارض تتحقق قريباً بمجيء المسيح ، حيث يملأ الارض عدلاً ، كما ملئت جوراً ، كما هو موعود المعصوم ، وبعدها يتحقق قوله تعالى « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الارض ، نتبوا من الجنة حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين » ويوم يتحقق تعمير أرضنا هذه ، بهذه الصورة ، تختفي الحشرات ، والهوام ، والافاعي ، في باطنها ، فتكون صورة لاهل النار ، في النار ، في اليوم الاكبر ، في الارض الكبرى ، التي تحدثنا عنها ..

والجنة والنار ، ليستا البعد الرابع ، لانهما مكان ، ولا يتسع المقام هنا للحديث عن البعد الرابع ، ويكفى ان نقول أنه ليس الزمن ، وإنما هو الله . وشرح ذلك يطول ، ويكفى أيضاً ان نقول ، في هذا المقام ، أنه متضمن في هذه الآية الكريمة « ان المتقين في جنات ، ونهر ، في مقعد صدق ، عند مليك مقتدر » ..

### \* ما علاقة المسؤولية بالاخلاق في الاسلام ؟

الاخلاق في الاسلام ليست هي الصدق ، والامانة ، ومعاملة الناس بما تحب ان يعاملوك به ، الى آخر هذه الفضائل السلوكية المحمودة .. وإنما هذه نتائج الاخلاق ، وثمرتها ، ولكن الاخلاق هي

حسن التصرف في الحرية الفردية المطلقة • وحسن التصرف هذا بازاء الخالق أولا ، والخلق ثانيا ، وفي نفس الامر •• وقول المعصوم : « ان الله يكتب الاحسان على كل شيء ، فمن ذبح منكم فليحدد شفرته ، وليرح ذبيحته » يقرب معنى حسن التصرف في الحرية ، و « من ذبح منكم » هذه تشير الى مقام الشريعة التي ابيح فيها الذبح للحكمة المترتبة على تسخير الحيوان كغذاء للانسان • ولكنها تتداعى في التطور ، مواكبة ، وحافزة ، للمجتمع حتى يبلغ مبلغ التصون عن أكل الحيوان ، « أوجب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا ؟ فكرهتموه !! »

فاذا اتضح لك أن الاخلاق هي حسن التصرف في الحرية الفردية المطلقة ، أصبحت الاخلاق مسئولية واضحة •• وأمام من ؟ أمام الناس ، وأمام نفسك ، وأمام الله ، الذي يرى خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وفي آن واحد ، وبغير تسلسل زمني ••

\* كيف يبرر الاسلام الضرورة الاخلاقية ؟ اعنى كيف يجيب على

### السؤال : لماذا يجب ان نكون أخلاقيين؟

جواب الاسلام قزيب ، وقصير ، وإنما يحتاج شرحه الى تطويل لا يتسع له الوقت الحاضر •• هذا الجواب هو اننا يجب ان نكون أخلاقيين لأن ذلك يعطينا الفرصة لنكون احرارا ، وبالحرية نتخلص من الخوف ، والخوف هو عدونا الأول ، والأخير ••

\* ما قول التصوف الاسلامي في وحدة الوجود ، ووحدة

### الموجود ؟

التصوف الاسلامي مداره التوحيد ، والتوحيد يقول : ان الوجود وحدة ، لأنه صورة من خالقه الواحد وحدة مطلقة • وإنما

التجديد الذى نراه نحن، ونظنه أصلاً، وهم، من أوهام حواشينا القواصر ..  
وكلما تخلصنا من أوهام الحواس ، كلما اتضحت أمامنا الوحدة ،  
التي تؤلف بين المظاهر المختلفة ، حتى أنه اذا اتفق لنا ان ننظر الى  
الوجود بعين الله لم نر غير الوحدة .. هذه النظرة القائمة على  
التوحيد المجود هي نظرة الصوفية .. ولذلك فأن رياضة الصوفية  
التعبدية تقوم على اكتساب المقدرة على النظر الى الوجود بعين  
الله ، وذلك بتوحيد الذات البشرية ، اسوة بالذات الالهية ، وذلك  
بالرياضة على توحيد الفكر ، والقول ، والعمل .. والقاعدة الذهبية  
« يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟ \* كبر مقتا عند الله  
ان تقولوا ما لا تفعلون . » وعندهم لا يستطيع القرب من مقام هذه  
الوحدة الا الاحرار . والاحرار عندهم اندر الاشياء وجودا ..  
قال احدهم :

تمنيت على الزمان محالا \* ان ترى مقلبتى طلعة حر

\* الخلاص « Salvation » ، كيف يتم خلاص العبد في

الاسلام ؟

أصل الشر ، في الاسلام ، هو انقسام الشخصية البشرية ،  
بين ظاهر وباطن .. النفاق ، وسببه الخوف ، وسبب الخوف الجهل  
بحقيقة الوجود ، وهو ما اسميناه أوهام الحواس ، في الجواب على  
السؤال السابق .. وسبيل الخلاص ، في الاسلام ، التوحيد ..  
ويبدأ بتوحيد الخوف .. فبدلاً من ان يكون الانسان خائفاً من  
العوامل المختلفة ، في البيئة ، يركز الاسلام في ذهنه ان الاشياء كلها  
لو ارادت ان تناله بسوء ، لا تناله الا بما كتبه الله عليه ، ولو ارادته  
بخير ، لا يناله منها خيراً الا ما كتبه الله له .. فالحق هو الفاعل  
المطلق ، للخير ، وللشر .. « ان تصبك حسنة تسؤهم ، وان تصبك



هضبية يقولوا : قد أخذنا أمرنا من قبل ، ويثولوا ، وهم فرحون \*  
قل : لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل  
المؤمنون » واذن ، فمن العلم الا تخاف الا من الله ، والا ترجو الا  
الله .. ولذلك فقد جاء عن المعصوم : « رأس الحكمة مخافة الله » ..  
و « رأس الحكمة » تعنى أول منازل الحكمة ، كأنها رأس الجسر  
للمعبور الى الله .. ثم ان الاسلام فى مراقبه يواجه التحرير حتى  
من خوف الله .. لأن الله ، لمن يعرفه ، لا يخاف ، وإنما يسكن اليه ،  
ويطمأن اليه ، ويؤنس به — ويحب . وعند المحبة يتم الخلاص ،  
فى الاسلام ، لانه بالمحبة تنقهر أرض القلب من رجس النفاق ، ويتم  
له السلام . قال تعالى « يوم لا ينفع مال ، ولا بنون \* الا من اتى  
الله بقلب سليم » وهذه إشارة الى الخلاص ، والقلب السليم هو  
القلب السلام ، على الاحياء والاشياء ..

\* هل يمجّد الاسلام العلم ؟ اى علم ؟

نعم .. وبلا تردد !! ولكن الاسلام ، فى مستوى الشريعة —  
أعنى للمبتدئين غيره عند الحقيقة — أعنى لمن استووا ، واستقاموا  
على الطريقة .. فهو يكره للعوام التوسع فى العلوم التى توزعهم ،  
ولا تجمعهم على الله ، وذلك خوفا عليهم من الفتنة المدسوسة فيها ..  
فالمبتدئ ، اذا قرأ اقوال الملحدين ، يتشوش خاطره ، ويهلك ..  
ولكن المستوى ، المستقيم ، يسوقه الى الله كل شئ ، وعنده ان  
ابليس يدعو الى الله دعوة هى فى بلاغة دعوة جبريل اليه .. فليس  
فى الوجود الا داع الى الله ، ولكن الناس لا يفهمون » وان من  
شئ .. الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » ..

\* كيف يبرر الاسلام الموت ؟

الموت الحسى ليس ، فى حقيقته ، كما نظنه نحن الآن ، وإنما

هو ميلاد في حيز غير الحيز الذي ألفه نحن ، مثله ، في ذلك ، مثل ميلاد الطفل في عالمنا هذا ، فإنه قد جاء من حيز عاش فيه مدة ، والفه ، واطمأن اليه ، ولم يخطر بباله حيز غيره ، ولو خير لكسره الخروج عنه الى عالمنا هذا كما يكره أحدنا ان يموت الآن .. نحن أيضا عندما نموت سنجد أنفسنا في عالم خير من عالمنا هذا ..

الموت بمعنى الفناء ليس هناك .. فبالموت يغير الحي قشرته فقط — يخرج من صدفته التي ظلت تكنه ردحا من الزمن — وهو يكره مفارقتها لجهله بخير منها — فالانسان لا يموت ، وإنما يتخلص من القوقعة كما يتخلص أحدنا من الملابس البالية .. وتبرير الاسلام للموت انه سير الى الله — سير من البعد الى القرب — وهذا لجميع الناس .. « يأيتها الانسان أنك كادح الى ربك كدحاً ، فملاقيه » ومن ملاقاته الله الموت ، لأن به رفع الحجاب « لقد كنت في غفلة من هذا ، فكشفنا عنك غطاءك ، فبصرك ، اليوم ، حديد » ..

✽ هل يقول الاسلام — كما يرى الغزالي — بأن العقل محدود ،

ولا يرقى الى معرفة الله دون النبوة ؟

نعم !! فالعقل يدل على وجود الله ، لأنه يعلم ، علم بداهة ، أن الاشياء التي ترتقق بها في حياتنا اليومية ، من ادوات ، لا تصنع نفسها ، وأنها لا بد لنا من ان نصنعها لفستطيع الاستمتاع بها ، ومن ثم فإن العالم لا بد له من صانع ، هذه مجرد بداهة عند العقل — صانع هذا الكون موحود — ولكن معرفته ، وراء ذلك ، تحتاج الى تعليم .. ومن أجل ذلك جاء الرسل — رسل الملائكة ورسل البشر — فلولا ان جبريل اتصل بالبشر ، ينبئهم عن الله ، ما تتبأوا .. ولولا ان الانبياء جاءوا البشر ، مرسلين ، يعلمون الناس صفات الله ، ما تعلموا .. فالعقل مستعد بطبعه لادراك وجود الله ، ولكنه لا بد له

من معلم ليتعلم ، لأن العلم أنما هو بالتعلم .. ثم هو انما يعلم الله في مستوى افعاله ، وصفاته ، واسمائه ، ذلك لأن له في هذه مشاركة ، ولأن الثنائية تقع فيها .. أما عند الوحدة المطلقة فتتقطع المشاركة ، ويقع العجز .. وعند عجزه يقع الادراك ، كما سبقت الى ذلك الإشارة .. وليس معنى هذا ان عجز الانسان فضيلة ، وانما عجز عقل الانسان فضيلة في هذا المقام ، لأنه تواضع أمام عظمة من لم يسجد ، تواضعا عند عتبتها ، هو الجاهل — ثم انه ، بعجز العقل ههنا ، تبدأ قدرة الانسان ، فيصبح قادرا ، قدرة الله ، ومريدا ، ارادة الله ، وعالما ، علم الله ، وحيا ، حياة الله ، ويصبح الله .. وفي هذا الباب يحسن ان تراجع كتابنا « الرسالة الثانية من الاسلام » .

### **\* كيف يجب ان تكون علاقة العبد بربه ؟**

في هذا الباب تحدثنا كثيرا في « رسالة الصلاة » وفي « الرسالة الثانية من الاسلام » فارجو ان ترجع اليهما .. ولكن يمكن ان أقول بايجاز : علاقة العبد بربه يجب ان تكون علاقة المحب بالمحبيب ، وهذه تورث الرضا ، بكل ما يريده المحبوب .. ومن أجل هذا المقام من مقامات العبودية ، شرعت الشرائع ، وفرضت التكاليف ، وسلك السالكون بظما النهار ، وقيام الليل ، وبترك الرغائب التي تنهافت عليها نفوس الجاهلين .

### **\* ما أهمية الحب بالنسبة للإيمان ، في الاسلام ؟**

الإيمان ثقة ، والحب يزيد في الثقة ، فيقوى من الإيمان .. والإيمان في الاسلام مرحلة نحو الايقان . وبالإيقان يتم الاسلام .. والإيقان مراتب علم ثلاث : ادناها من الإيمان مرتبة « علم اليقين » ،

وأوسطها مرتبة « عين اليقين » وأعلىها مرتبة « حق اليقين » ..  
وأهمية الحب تزيد كلما أرتقى الانسان من مرتبة الايمان في مراتب  
الايقان ، لأن هذه المراتب تتطلب الخلاص من الاغيار — « الا لله  
الدين الخالص » و « الدين » هنا يعنى المعاملة و « الخالص » يعنى المنقى  
من شوائب الشرك .. وللمحبة نار تأكل الشرك كما تأكل النار  
« الغباش » .. لأنه حرام فى شريعة المحبة التعدد .. والى ذلك  
أشار صاحبنا الذى قال :-

اصحابنا اختاروا المحبة مذهباً \* وما خالفوا فى مذهب الحب شرعنا

ففى مذهب الحب ، الشريعة التوحيد ..

وقالوا أيضا : « ابت المحبة ان تستعمل المحب لغير المحبوب » .

وهذه أيضا إشارة الى التوحيد .. ونحن لا نعلم محبا ، صادق

الحب ، له محبوبان .

فالمحبة هى جوهر التوحيد ، ولقد قال فى ذلك الشيخ العبيد

ودبدر : « لما عنده محبة ما عنده الحبة » يعنى ما عنده من التوحيد

ممثل ذرة .. فالمحبة ، التى هى أصل دعائم المسيحية حتى لقد

قالوا : « الله محبة » عندنا نحن بأؤكد مما عندهم .. ولكننا نحن

نركز على النهج الذى يحققها ، منذ الوهلة الاولى ، وذلك فى

الشريعة . وهذا النهج هو التوحيد . ولكن القرينة بين التوحيد

والمحبة لا يتبينها العامة ، وإنما تبينها الصوفية ، كما سبقت الى

ذلك الإشارة .

\* هل تجد سياسة رفض العنف أساسا متينا فى الاسلام ؟

العنف مرفوض فى الاسلام ولكن ، كما سبق الى ذلك البيان ،

فإن شريعة الاسلام ليست هي كل الاسلام ، وإنما هي المدخل على الاسلام ، أو هي الاسلام ، منتزلا الى أرض الناس — حسب مداركهم ، واستعدادهم ، وحسب حاجتهم .. ففى أصل الاسلام « ادع الى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هي أحسن » وفى أصل الاسلام « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » .. وكثير من الآيات التى تدعو الى سعة الافق ، والاسماح مع المخالفين فى رأى ، ولكن كل اولئك منسوخ ، فى الشريعة ، ومستبدل بآيات دون هذه فى مستوى التسامح .. مثل « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » أو « يأيها النبى جاهد الكفار ، والمنافقين ، واغلظ عليهم » أو « يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجداوا فيكم غلظة » .

فأنت ترى ، اذن ، ان العنف غير مرفوض فى الاسلام ، فى القرآن ، وهو مرفوض أيضا ، فيقع فى خلد غير المحقق ان هناك تناقضا فى القرآن ، والامر خلاف ذلك .. ذلك لأن شريعة الاسلام مدخل عليه ، وهى مرحلية — هى مرحلة الايمان من الاسلام — وعندما يجىء تشريع الاسلام ، فى اوجه ، فإنه لا يقوم الا على رفض العنف ، وقد جاءت الاجابة على ذلك فى الرد على السؤال نمرة ٥ فليراجع .

✽ ما طبيعة براهين وجود الله فى القرآن ؟

الاسلام دين الاميين .. فرسوله امى ، وامته امية .. قال تعالى فى ذلك « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، وان كانوا ، من قبل ، لفى ضلال مبين » والأمية تعنى سلامة الفطرة من زغل التحصيل ، وتعقيد التفلسف ، والتنطع الذى يصحب ، عادة ،



التعليم .. « والاسلام دين الفطرة » التي سساقها النبي تعنى  
السلامة ، والبراءة ، والصدق ، التي تقرب من السذاجة ، والطفولة ،  
وهذه نصيب الامى ، عادة ، فيها أكبر من نصيب القارىء ، والمحصل ،  
والخادق فى دروب الدنيا المعقدة .

وادلة القرآن فى طبيعتها تتجه الى اشباع حاجة هذه الفطرة  
الى وجود الله .. فكأن الانسان مفطور بشعور عميق بأن هناك قوة  
هائلة هى التي اوجدته ، واوجدت الكون من حوله ، بارضه ،  
وسمائه ، وشمسهِ ، وقمرهِ ، ونجومهِ .. ولكن هذه القوة التي يشعر  
بوجودها ، شعوراً فطرياً ، لا يعرف عنها ، وعن علاقتها بها ، ما  
تطمئن اليه نفسه ، فجاءت أدلة القرآن تدعو الى النظر فى دقة خلق  
الله ، واحكام هذا الخلق . واغراض هذه الادلة متعددة ، ولكنها ، فى  
جملتها ، ترمى الى انشاء الثقة فى صدور العباد بقوة ، ومقدرة ،  
ورحمة هذه القوة الهائلة ، وبوحدتها أيضاً .. وهى ترمى ، وراء كل  
ذلك ، الى انشاء الصلة بين الخالق والخلق ، وكأنها العلاقة بين  
الاب والابناء - الاب الرحيم ، الحكيم ، القادر على كل شئ ،  
والمحب لخير ، ومصلحة ابنائه ... فطبيعة براهين وجود الله فى  
القرآن تتجه الى اشباع الحاجة اليه .. والحاجة اليه قائمة فى كل  
الصدور - واشباعها يتجه الى وصفه بالقدرة ، والرحمة .. فبقدرته  
يخاف ، ويطمع فيه - وبرحمته يحب ، وتتوفر اليه الطمأنينة ..  
فكأنه الأب القادر على توصيل الخير الى أبنائه ، والراغب ، اشد  
الرغبة ، فى تحقيق مصلحة ابنائه « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ،  
وبالوالدين احسانا » فعندما ذكر افرادهِ بالعبادة ، ذكر الوالدين ،  
وخصهم بالاحسان ، وذلك للقرينة بين الأب والرب .

طبيعة براهين القرآن البساطة في النذر الى البديهيات التي لا يمكن ان تنسب الى غير الله ، وتوكيد توحيده في مملكته ، حتى نطمئن الى سعة قدرته .. ثم ، بعد ذلك ، أنشاء هذه العلاقة بيننا وبينه ، حتى تطمئن نفوسنا ، كما تطمئن نفوس الاطفال الى الأب المقتدر ، الحكيم ، الرحيم .. ومع ذلك ، فإن من كمال الاسلام ان هذه البراهين البسيطة ، الصالحة لبداية المبتدئ الساذج ، تطرد ، وتتسامى ، حتى تكون كافية لأنجاب اقوى العقول المفكرة ، واكثرها كفاية ، واقتداراً على دقة النظر .. واشمل آية لطبيعة براهين القرآن على وجود الله قوله تعالى « سنريهم آياتنا ، في الآفاق ، وفي انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق .. أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟ » وآيات الله في الآفاق تعنى كل ما خلق في الوجود حولنا من اجرام ، ومن حركات ، وسكنات .. وآيات النفوس مقابلة المعانى فيها لهذه الاجرام .. فكأن الله خلق الوجود على صورة مكبرة ، هي في الآفاق ، حولنا .. وعلى صورة مصغرة ، هي ما أنطوت عليه النفس البشرية من معان مودعة في القلب والعقل ، ولذلك فقد قال شاعر العارفين الصوفية :

وتزعم انك جرم صغير \* وفيك انطوى العالم الاكبر ؟  
والاكبر ، والاصغر ، هنا باعتبار الاحجام المألوفة ، والافان العالم الأكبر هو الانسان ، والعالم الاصغر هو الاكوان .. وفي الانسان الله ، وليس الله في الاكوان .. فأنه ، في حديث قدسي ، جاء قوله : « ما وسعني ارضي ، ولا سمائي ، وانما وسعني قلب عبدي المؤمن » والسعة هنا ليست مكاناً ، ولكن علماً .. ولذلك فإن في قلب الانسان الحقيقة الازلية التي ما الوجود في الآفاق الصورة لها .. ونحن نعلم علم الله كله ، ولكننا ننسيناها ، وليس شيء في

الوجود يعلمنا شيئاً مستأنفاً ، وأنما الأشياء تذكرنا بالحقيقة المركوزة  
فيها ، ولكننا نسيناها .. ولذلك فإن الله يقول عن القرآن « ولقد  
يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر ؟ » .. فدعوة القرآن ، اذن ، الى  
النظر في آيات الآفاق انما المراد بها مقابلة الصورة في الخارج ،  
بالمعنى في داخل النفس البشرية ، لينبعث المعنى ، فتعلم النفس ..  
أو قل لتتذكر ما كانت به عالمة فنسيتها .. « وفي الارض آيات  
للموقنين \* وفي انفسكم افلا تبصرون ؟ » فاذا تذكرت النفس الحقيقة  
الاولية المودعة فيها فقد استغنت عن الاستدلال ، والارتفاق  
بآيات الآفاق ، واصبحت مكتفية بذاتها عنها ، في معنى ما هي مكتفية  
بالله ، لأن الذات واحدة ، واصبحت لها قيومية بربها ، لا بالاكوان ..  
 واصبحت تعرف الاكوان بالله ، بعد ان كانت تتعرف الى الله  
بالاكوان .. وهذا معنى الاشارة ، في الآية الاولى ، بقوله تعالى  
« أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ؟ » وهو قول يحمل معنى  
التوبيخ ، والعتاب ..

ومن كانت قيوميته بالله ، واستغناؤه بالله ، كان الله ، ولم  
يكن غيره .. والى ذلك اشار العارف النابلسي حين قال :

ان تكن بالله قائم \* لم تكن ، بل انت هو

انت ظل الغيب من اسمائه والشمس هو

فالقرآن ، اذن ، يسوق براهينه بصورة تكفى المبتدئ ، ولا  
تكلفه شططا ، على ما به من امية ، وسذاجة .. ثم تتسع ، في نفس  
الامر ، لأعلى العقول ، واقواها على دقة النظر في الأمور .

يمكنك ان تقول ، بايجاز ، ان طبيعة براهين القرآن على وجود  
الله طبيعة من يعرف الحقيقة المطلقة ، ويعرف طاقة النفوس المحدودة  
في ادراك هذه الحقيقة على التدرج ، والترقي المستمر ، من بداية

بسيطة ، الى نهاية معقدة تتسامى في الكمال المطلق الذي هو حظ  
الله تبارك وتعالى ..  
\* مفهوم السببية ؟ .

السبب في اللغة الحبل ، والذريعة ، وما يتوصل به الى غيره ،  
وهو أيضا الطريق .. فيقال ما لى اليه سبب ، أى طريق .. واسباب  
السماء مراقبها .. ويقال تعاطى الاسباب ، وهم يعنون انه اخذ ،  
واعطى ، طلبا لتحصيل ما يحتاج اليه في أمر معيشته .. وفي القرآن  
يحدثنا تعالى عن ذى القرنين « ويسألونك عن ذى القرنين ، قل  
سأتلو عليكم منه ذكرا » \* انا مكنا له فى الارض ، وآتيناه من كل  
شئ سببا \* فاتبع سببا « فآتيناه » من كل شئ سببا « يعنى  
ذريعة توصله الى تنفيذ ما يريد .. « فاتبع سببا » يعنى  
سلك طريقا .

وأمر السببية فى الاسلام على مستويين : مستوى الشريعة ،  
وهو مستوى يقوم على اعتبار ان الله رتب الاسباب ترتيبا حكيما  
يتأدى به الانسان الى تدبير أمر معاشه بالاجتهاد المشروع .. فإله  
هو الذى اوجد التربة الصالحة للزراعة ، والله هو الذى اوجد البذرة  
الصالحة للنمو ، والله هو الذى انزل الماء على الارض فى موسم  
الانبات فاحياها بعد موتها .. هذه كلها اسباب ضرورية ، وبقي  
سبب ، أو اسباب اخرى على الانسان الاخذ بها ، وهى بذر البذرة  
فى التربة ، وتعهدها حتى تستحصد « فأن السماء لا تمطر ذهبا  
ولا فضة » كما قال عمر بن الخطاب ، ولكن باسباب من الله ، واسباب  
يظن الانسان أنها منه ، يتم الانتاج ، وتمضى الحياة فى سبيلها ،  
متطورة ، مترقية مراقى الرخاء المادى ، ومراقى المعرفة بالله ، لأن  
الصراع فى زحمة الاسباب المشتركة بيننا وبين الله يهدينا ، بفضل

الله ، ثم بفعل القرآن ، الى الله بصورة واضحة .. اسمع القرآن ، من سورة الواقعة ، كيف يحدثنا عن هذه الاسباب المشتركة ، وهو حديث يؤكد لك ما حدثناك عنه من طبيعة البراهين في القرآن على وجود الله .

« نحن خلقناكم ، فلولا تصدقون \* أفرأيتم ما تمنون ؟ \* أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ \* نحن قدرنا بينكم الموت ، وما نحن بمسبوقين \* على ان نبدل امثالكم ، وننشئكم فيما لا تعلمون \* ولقد علمتم النشأة الاولى ، فلولا تذكرون ؟ \* أفرأيتم ما تحرثون ؟ \* أنتم تزرعونوه ؟ أم نحن الزارعون ؟ \* لو نشاء لجعلناه حطابا ، فظلمت تفكهون \* انا لمغرمون \* بل نحن محرومون \* أفرأيتم الماء الذى تشربون ؟ \* أنتم انزلتموه من المزن ؟ أم نحن المنزلون ؟ \* لو نشاء جعلناه اجاجا ، فلولا تشكرون ؟ \* أفرأيتم النار التى تورون ؟ \* أنتم انشأتم شجرتها ؟ أم نحن المنشئون ؟ \* نحن جعلناها تذكرة ، ومتاعا ، للمقوين !! \* فسبح باسم ربك العظيم !! » .

فهذه آيات كلها تظهر لنا قدرته ، ورحمته ، وتنشئ الصلة ، بيننا وبينه ، بمقارنة اسبابنا الى اسبابه ، واظهار قوة اسبابه هو . وضعف اسبابنا نحن ، واحاطته باسبابنا ، حتى لو شاء لجعلها لا جدوى منها . وقد ختمها بقوله تعالى « فسبح باسم ربك العظيم !! » والرب هنا تحمل ايضا معنى الأب الرحيم .. والآيات تعطينا سلسلة من الاسباب المؤدية الى اسباب .. هذا فى ظاهر الأمر ، وهو ما عليه الشريعة .. ولكن ، فى حقيقة الدين ، ليس هناك سبب يؤدي الى سبب ، اطلاقاً ، وإنما الاسباب سلسلة من استعدادات المحل بالقابلية لتلقى الحركة المقبلة عن الله . فكأن الأمر كله حكمة اختفى



الله وراءها ، الا عن العقول التي استقارت بنور التوحيد .. فليس من التوحيد ان تظن ان سبب الاحراق النار ، فان وجدت ، وجد الاحراق ، حتماً مقضياً .. قد ظن هذا الظن النمرود ، صاحب ابراهيم الخليل ، الذي أمر باحراقه ، واعد ناره ، ومنجنيقه ، وتذف بابراهيم فيها ، فما هالهم الا وجود ابراهيم سالماً ، عندما خمد اوار النار ، ذلك بأن الاذن الالهي بالاحراق لم يصدر للنار — استعد المحل للاحراق ، ولم يصدر الاذن بالاحراق — فلم يحدث .. بل صدر الأمر بقوله تعالى « يا نار !! كوني برداً ، وسلاماً ، على ابراهيم » .. عندما نجود فهم مسألة الاسباب ، وذلك باتقان العبادة في مراقب التوحيد ، يظهر لنا ان الاسباب كلها تنتهي الى سبب واحد ، هو الله ..

قال تعالى ، في ذلك : « وأمر اهلك بالصلاة ، واصطبر عليها ، لا نسألك رزقا ، نحن نرزقك ، والعاقبة للمتقوى » وقال ، من سورة الذاريات : « وما خلقت الجن ، والانس ، الا ليعبدون \* ما اريد منهم من رزق ، وما اريد ان يطعمون \* ان الله هو الرزاق ، ذو القوة ، المتين .. » فكان سبب الرزق ، في آخر الأمر ، هو معرفة الله ، لا اتخاذ الاسباب .. ويظهر هذا الأمر جلياً في موعود الجنة ، لأهل الجنة .. فهم يرزقون فيها بالهمم .. قال تعالى : « لهم ما يشاءون فيها .. ولدينا مزيد !! » وما ذاك الا لأن الجنة هي دار العارفين بالله .. ولو ان أهل الارض عرفوا الله ، حق معرفته ، لكان لهم شأن ، غير شأنهم الحاضر .. قال تعالى ، من سورة الاعراف : « ولو ان أهل القرى آمنوا ، واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من السماء ، والارض ، ولكن كذبوا ، فأخذناهم بما كانوا يكسبون .. » ..

ولقد قال المعصوم « لو توكلتم على الله ، حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، ولعلمتم العلم الذى لا جهل بعده ، وما علم ذلك احد .. قالوا : ولا أنت ؟ قال : ولا انا !! قالوا : ما كنا نظن الانبياء تنصر عن شىء !! قال : ان الله اجل ، واخطر ، من ان يحيط بما عنده احد !! »

وعندما هاجر النبى ، مع اصحابه الى المدينة ، وجد الانصار يلتصقون النخل ، فقال لهم مرة : « لو لم تلتقوه لثمر » فتركوه ، فلما لم يثمر قالوا له : « يارسول الله !! لقد اخبرتنا انا لو لم نلتصق النخيل لأثمر ، فلم تلتصقه ، فما أثمر .. » فقال لهم : « اعملوا فأنتم اعلم بأمور دنياكم » فعادوا لتلقيح النخيل ، كسابق عادتهم .. ولقد كان مراد النبى بقوله « انتم اعلم بأمور دنياكم » ان دنياكم دنيا الاسباب ، ولذلك فلا بد لكم من الاخذ بالاسباب .. ولو كنتم ممن لا يرى الاسباب لما تخلف النخيل عن الأثمار .. وقد اخطأ بعض رجال الدين ، ومنهم الاستاذ خالد محمد خالد ، فى فهم العبارة النبوية ، فظن انها دليل على ان ليس فى الاسلام نظام حكومة ، وانما جاء النبى ليعلم الناس أمور دينهم فقط ، بدليل انه قال لهم « أنتم أعلم بأمور دنياكم » .. وليس هناك شىء هو امعن فى الخطأ ، ولا ابعد عن الصواب ، فى أمر الاسلام ، من هذا الفهم ..

وكان الصوفية يروضون انفسهم فى الارتقاء فى الاسباب ، من الأخذ بها ، فى مرحلة الشريعة ، الى اسقاطها ، فى مرحلة الحقيقة ، ثم الرجوع للاخذ بها فى مرحلة الاستواء ، وهى مرحلة الجمع بين الحقيقة ، والشريعة .. ويكونون ، حالته ، ممن يتعاطون الاسباب ،

من غير ان يغيبوا لحظة عن مسبب الاسباب .. فكأنهم يأخذون بالاسباب من غير ان يقفوا مع الاسباب ، كما هي الحالة عادة مع صاحب الشريعة فقط . وهم يسمون هذا النهج من الرياضة « التوكل » ، وهو عندهم الا تأخذ بسبب يوصلك الى سبب حتى يكون مسبب الاسباب هو الذى يتولاك . فكان احدهم يسير فى الصحراء ، من غير زاد ، ولا ماء ، حتى اذا اشرف على الهلاك ، فظهرت له فجأة قافلة ، أو وجد أهل بيت قدموا له الغذاء ، والماء ، زادت نفسه يقينا بأن الله هو الرزاق لمن يتوكل عليه ، وهكذا ، قليلا ، قليلا ، حتى تستوى على اليقين . ثم بعد ذلك يأخذ فى الاسباب ، تأدبا بأدب الشريعة ، ولا ترى نفسه ، بعد ذلك ، ان الاسباب هي الاصل فى توصيل الارزاق ، ولذلك فإنه لا يكون حريصا فى تعاطيها ، ولا مبالغا فى توخيها .. فتراه مطمئن النفس ، مقتصداً فى الطلب .. فبترك الاسباب ، عندهم ، يكون تصحيح حالهم فى التوكل ، ثم ، بعد معاناة طويلة ، وتجربة مثمرة ، يبدأون فى العودة الى الاخذ بالاسباب ، ويسمون هذه بالفناء عن التوكل .. وهم لا يتركون الاسباب ، ولا يأخذون بها ، فى رياضتهم ، الا عن ذوق اكيد . لا عن ظن ، ولا حديث نفس . قال احدهم مرة ، لما ترك بغير ذوق .. « تركت الاسباب ، فعدت الى الاسباب ، وتركتنى الاسباب ، فلم تعد الى الاسباب » .

وقال ابن عطاء الله السكندرى ، فى حكمه ، مخاطبا السالكين الى الله .. « ارادتك التجريد ، مع اقامته اياك فى الاسباب ، من الشهوة الخفية .. وارادتك الاسباب ، مع اقامته اياك فى التجريد ، انحطاط عن الهمة العلية »

فالسبب في الشريعة قائم ، ولكنه في الحقيقة ساقط .. وصاحب  
الشريعة وحدها ما يكون له ان يدعى حال صاحب الحقيقة ، فيسقط  
الاسباب ، وما ينبغي له ، وما يستطيع . وهو ان ادعاها امتحن ،  
حتى يرجع الى الاسباب ، كما قال صاحبنا الذي قال « تركت  
الاسباب فعدت الى الاسباب » ..

وصاحب الحقيقة ، حين يسقط الاسباب ، يكون في حالة فناء ،  
وهي مرحلة سلوكية ، فاذا جودها السالك خرج منها الى مقام البقاء ،  
وجمع يومئذ بين الشريعة والحقيقة ، فيأخذ في الاسباب في اعتدال ،  
واقتصاد .. ولا يعنى هذا الاهمال في توخيها ، ولا السلبية في النظر  
اليها ، وانما يعنى اتقانها ، كل الاتقان ، ثم الرضا عما يديه الله له  
من فشل .. اذا كان الفشل .. فاذا كان النجاح ، فلا يجب ان  
يستخفه الفرح ، ولا ان يذهب بوقار نفسه ، ولا اعتدال اخلاقه ..  
فأن الله لا يحب الفرحين ، خفاف الاحلام ..

وبعد فأن هذا ما يسر الله ، تبارك وتعالى ، في أمر اسئلتك ..  
وقد توخيت فيها الاختصار ، فلعل الله ان ينفع بها ، أنه سميع  
مجيب ..

محمود محمد طه

امدرمان - ٢٧ رمضان ١٣٨٧

الموافق ٢٨ ديسمبر ١٩٦٧

# بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الابن المبارك أحمد الحسين الحسن

تحية طيبة وبعد فإنه يسعدني حقا أن أجسد الوقت للإجابة على  
اسئلتك الذكية، التي انبعثت، في غالبيتها من اطلاعك على اسئلة الاستاذ  
السوسى والاجوبة عليها ، وهذه الاسئلة تعطينى الفرصة للتوسيع ،  
والتفريع ، على اجوبة بعض اسئلة الاستاذ السوسى :-

\* الايمان بوجود الله — هل هو غاية ام وسيلة — اعنى هل هو

## بداية كل خير ؟

الجواب : الايمان بوجود الله وسيلة .. والغاية الانسان . وذلك  
لانه بالايمان تبدأ حوالة المشاكل الكبرى على الله ، فتبدأ طمأنينة  
النفس في مواجهة ما يكرهها من الآفات .. وليس فى الوجود خير الا  
ويأخذ مبدأه من الايمان بالله — قال تعالى « ان الذين آمنوا ، وعملوا  
الصالحات ، يهديهم ربهم بايمانهم ، تجري من تحتهم الانهار ، فى جنات  
النعيم » وليس هناك عمل ، لا يقوم على الايمان ، يسكن ان يكون  
صالحا ، قال تعالى فى ذلك : « وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه  
هباء منثورا » وذلك لأن الايمان يقوم مقام الفكر ، حين يعجز الفكر —  
ومقام الفكر ، من الاعمال ، هو مقام الروح من الجسد — ومعلوم انه  
لا صلاح للجساد بدون الارواح .. هل الايمان بداية كل خير ؟ نعم ،  
وهو فى ذاته خير ، ولا سبيل الى الخير بدونه ..



**\* هل الايمان بالله ضرورى كحافز لعمل الخير ؟ اذا اوجدنا**

**للماركسية حوافز انسانية ، غير حوافز الخوف ، والتضليل ،**

**ولكن هذه الحوافز لا تحوى الايمان ، هل تقترب من الكمال ؟**

الجواب : ليست هناك حوافز انسانية لاتحوى الايمان ، لان انسانية الانسان انما تتحقق باقامة العلاقة بينه وبين الله .. ولقد يظهر لنا اننا نستطيع ان نتحدث عن الانسانية بدون ايراد ذكر الله ، ولكن ، لدى تحقيق الانسانية في مضمار الفكر ، والسلوك البشرى ، لا يكون امر بغير الايمان بالله . فكأنك لا تستطيع ان توجد للماركسية حوافز انتاج لا تقوم على الخوف والتضليل ، وذلك لسبب واحد ، بسيط ، هو ان الماركسية ، بطبيعتها ، لا تستطيع ان تقدم للانسان غير الخوف ، والتضليل ، حين قطعت العلاقة بالله ، وبالايمان .. ان الانسانية تتطلب هزيمة الماركسية ، لان الطريق الى الاشتراكية أولا ، والى الشيوعية ثانيا ، والى الديسقاطية ، مع هذه وتلك ، لا يقع الا على انقاض الماركسية .. هذه حقيقة لم تتضح معالمها للناس بعد ، ولكنها ستتضح عما قريب ، ان شاء الله .. فالماركسية اكثر الفلسفات المعروفة خطأ ، واقلها انسانية ..

**\* الا يمكننا ان نكون انسانيين ، واخلاقيين ، واصحاب ضمائر ،**

**من غير ان نؤمن بالله ؟**

الجواب : بهذه المناسبة احب ان انبه الى ان الايمان بالله يقع على مستويين : مستوى مشعور به في العقل الواعى ، وهذا هو الايمان الذى نقصده دائما بالعبارة ، عندما نتحدث . ومستوى غير مشعور به

في العقل الواعي ، وإنما هو مترسب في العقل الباطن ، وهذا لا يخلو منه موجود في الأرض ، ولا في السماء .. لأنه القيومية التي قامت بها الاشياء .. فاذا علمت هذا ، علمت انك لا يمكن ان تكون - مجرد كيان - دع عنك ان تكون انسانيا ، أو اخلاقيا ، بغير الايمان .. فاذا اعتبرت ان الملاحد قد يكون على طرف من الانسانية ، والاخلاقية ، والضير ، كما هو مشاهد في بعض الاحيان ، فانما ذلك لأن ما تراه عنده يرجع ايضا الى الايمان بالله ، ولكن الملاحد غير شاعر بهذا الايمان .. فحاصل الامر انك لا يمكن ان تكون اخلاقيا ، ولا انسانيا ، بصورة تثبت على الابتلاء ، والامتحان ، الا اذا كنت مؤمنا ايمانا مشعورا به .. والا ، فان الله يتلى المدعين ، ويفضحهم في عقر دارهم .. قال تعالى « ألم يحسب الناس أن يتركوا ، أن يقولوا آمنا ، وهم لا يفتنون ؟ » ولقد فتنا الذين من قبلهم .. فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين » ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ؟ ساء ما يحكمون . » وعبارة « ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ؟ ساء ما يحكمون . » تعني : هل يظن الذين يجحدون الايمان أن يتركوا على جحدهم هذا الى الابد ؟ لقد اخطأوا الحكم اذن ..

ثم ما هي الانسانية ؟ وما هي الاخلاقية التي تفكر فيها انت ، وافكر فيها أنا ؟ فاما الانسانية فهي القيمة الاخلاقية التي تميز بها الانسان عن الحيوان ، وعن الملك .. فهناك ، مثلا ، في الحيوانات العليا الحيوان ، والانسان ، والملك .. فالانسانية صفة وسطى بين الحيوان ، والملك .. هي نقطة التقاء الحيوان والملك .. وهي اكمل من كليهما ، وذلك لمكان الحرية فيها ، وهنا تجيء الاخلاقية .. فان الاخلاق هي

حسن التصرف في الحرية الفردية المطلقة .. والحرية من حيث هي مقيدة ، أو مطلقة ، انما هي نفحة من الله تضوعت على ارض الانسانية . وانما يجيء القيد من عجزنا نحن عن التلقى عن المطلق .. فالحرية المقيدة ، انما هي تلقى نسبي ، عن الحرية المطلقة .. والحرية المطلقة هي الله .. لانها صفته ، ولانها اخلاقه .. ومن اجل ذلك قال المعصوم « تخلقوا باخلاق الله : ان ربي على صراط مستقيم » وقال تعالى « كونوا ربانيين ، بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون » أى كونوا علماء وكونوا أحرارا بغير حدود للحرية ، الاحدودا تجيء من واجب حسن التصرف في الحرية . وهذه هي الاخلاقية التي تسأل عنها انت ، وهي هي التي جعلت الانسان انسانا ، فوق مرتبة الحيوان ، وفوق مرتبة الملك . ويتضح لك ، من هذه الاسطر ، ان الايمان اصل فيها ، وهو اصل يصحبها في جميع مراقبها ، وهي تنطلق من الحرية المحدودة ، الى الحرية المطلقة .

**✽ كيف نفرق بين ما هو صحيح ، وما هو خاطيء ، من القيم**

**الانسانية ؟ كيف اعرف اني تدخلت في حرية غيري اذا كان**

**غيري يسره ذلك ؟**

الجواب : معرفة ما هو صحيح ، وما هو خاطيء من القيم الانسانية يحتاج الى علم ، ما في ذلك ادنى ريب ، وبخاصة عندما تدق الامور . فقد قال المعصوم « الحرام بين ، والحلال بين ، وبينهما امور مشتهات ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ، ولعرضه ، » وقال مرة « الحرام ما حاك في نفسك ، وخشيت ان يطلع عليه الناس » فالامر في معرفة الصحيح والخطأ الغليظين اذن واضح ، ولكن الحيرة تجيء عندما تدق المعاني ، بالقرب من خط الاستواء ، حيث تنعدم الظلال ..

فان التمييز عندئذ يحتاج الى قوة فكر ، وحدة ذكاء ، لا يكتسبان الا عن طريق ممارسة العبادة . فان الله تعالى يقول « يأيتها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ، ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم » والفرقان هو النور الذي به يكون التمييز بين الخطأ والصواب من القيم الانسانية ، عندما تدق الامور ، ويقع اللبس بين صور الاشياء ..

وللاجابة على الشطر الثانى فان الفيصل في الحكم على معاملتك الناس هو ان تعامل الناس كما تحب ان يعاملوك .. ضع نفسك مكان من تعامل .. والقاعدة الرفيعة جدا هي ان يعامل كل انسان وكأنه غاية في نفسه ، فلا يتخذ وسيلة الى غاية وراءه .. ولن يكون الحكم على صحة المعاملة رضا الطرف الاخر عنها ، وانما رضا الحق عنها .. وذلك لان الطرف الاخر قد يكون جاهلا .. وقد يكون مختل القسوى العقلية .. فتكون حينئذ انت المسئول عنه ..

**\* هل يمكننا اليوم ان نعتبر بعض الناس قصرا ، والاخرين**

**رشداء ، وبالتالي نخول للرشداء الولاية على القصر ؟؟**

الجواب : لا !! القاعده الذهبية التى يجب الا تغيب عن اذهاننا هي انه ليس هناك رجل هو من الكمال بحيث يؤتمن على حريات الآخرين ، فثمن الحرية الفردية هو دوام سهر كل فرد عليها .. هذه القاعدة الذهبية تؤخذ من الآيتين ، الكريمتين .. « فذكر انما انت مذكر \* لست عليهم بمسيطر » وقد اعتبرت هاتان الآيتان منسوختين في حق الامة المؤمنة قبل اربعة عشرين سنة ، واستعويض عنهما بآية الوصاية - آية الشورى - « وشاورهم في الامر ، فاذا عزمتم ، فتوكل على الله » ..

واليوم ، ونحن نستقبل فجر الامة المسلمة ، فقد أنى للآيتين المنسوختين « فذكر انما انت مذكر \* لست عليهم بمسيطر » ان تبعثا ، ليكون العمل عليهما ، وللآية الناسخة ، التي كانت صاحبة الوقت في القرن السابع ، ان تنسخ ، لأن وقتها قد مضى ، وسيجيء يوم ، في المستقبل ، عندما تبدأ البشرية تنحدر ، بعد ان تكون قد بلغت أوجها ، يكون فيه لآية القرن السابع هذه ، مجال تبعث فيه من جديد .. فكأن النسخ متداول بين الآيتين هاتين وبين آية الشورى .. فالآيتان تنسخان مرتين . وتطبقان مرة واحدة .. وآية الشورى تنسخ مرة واحدة ، وتطبق مرتين .. وفي تطبيقها الاخير تكون البشرية قد اخذت في الانحدار ، ثم لا يكون لها ارتفاع ثانية ، الا يسيرا .. فتسير بذلك من مرحلة الشورى ، الى مرحلة يستبد فيها بها حكامها .. ثم لا يكون صلاح ، وانما فساد ، يتلوه فساد اكبر منه ، فيصير الناس ، بذلك ، ما يكون من شيء الا يكوا عليه ، لسوء ما يعقبه ، الى أن تقوم الساعة ، ويحل الخراب ..

### \* ما علة وجود الله ؟

الجواب : ليس لله علة وجود .. لان وجوده مطلق .. فهو علة وجوده ، فالعلة ، بالمعنى المتعارف ، سبب سابق على المعلول ، وليس وجود الله تعالى بمسبوق بوجود .. وهو واجب الوجود لذاته ، وبذلك فهو علة وجوده .. وليست هذه العلة هي ما تسأل انت عنه هنا .. فان سألت عن علة وجود الخلق فالجواب عتيد .. فانما علة وجود الخلق ان يكونوا كاملين عن طريق العبادة ، والى ذلك الاشارة بقوله تعالى « وما خلقت الجن ، والانس ، الا ليعبدون »

✳ هل يمكن للانسان ، بتركيز الشعور ، والفكر ، ان يتحرر من

### الآلم .. هل يمكن ان يحصل ذلك في لحظات ؟

الجواب : طريق الخلاص من الألم ، في جميع صورته ، هو قوة الفكر ، وسعة الشعور .. والحياة الكاملة ، المتحررة من الآفات ، والنقائص ، والموت ، هي حياة الفكر ، وحياة الشعور .. وليس طريق هذه الحياة بتركيز الفكر ، وانما بتحرير الفكر من رواسب الخوف ، وسسيطة الاوهام .. ويتبع هذا التحرير سعة في الشعور .. ولكن قد يوجد من يصل الى المقدرة على التركيز دون التحرير ، كما يفعل فقراء الهنود ، فتكون له ، في لحظات ، ومضة من حياة الفكر ، وحياة الشعور ؛ بها يقهر الألم .. ولكن ذلك خلاف الاولى .. اذ الاولى ان نصل الى هذه المرتبة عن طريق التحرير الوئيد الذي يجيء نتيجة المعرفة بالله .. وذلك عن طريق ترك الارادة ، تسليما للارادة التي احاطت بكل شيء ، لاعن طريق تركيز الارادة ...

✳ هل يمكن للانسان ان يصل مرتبة الحقيقة من غير ان يمر

### بمرتبة الشريعة الكاملة ؟

الجواب : لا !! .. وفي واقع الامر فان الشريعة هي طرف الحقيقة القريب منا .. هي المدخل على الحقيقة .. ولكن الشريعة قد تكون فردية ، كما هي في حالة الانبياء ، والرسل ، وقد تكون جماعية كما هي في حالة اتباع الرسل .. ففي حالة اتباع الرسل فان الامر واضح ، فانه ليس هناك وصول الى الحقيقة الا عن طريق الشريعة .. واما في حالة الانبياء والرسل فان شريعة ايها طرف من حقيقته .. ويمكن القول ، اذن ، على هذين الاعتبارين ، ان ليس هناك وصول الى الحقيقة الا عن طريق الشريعة .

وقد تجد بعض المجاذيب يخلط في الشريعة ، ويكون ، مع ذلك ، على جانب من الحقيقة ، وليس يعنى هذا انه وصل الى الحقيقة بغير الشريعة ، وانما وصل الى ما وصل اليه من حقيقة عن طريق شريعة مخلوطة .. شئ منها شريعة جماعية ، وشئ منها شريعة فردية ... ثم ان المجذوب لا يمكن ان يصل الى حقيقة واضحة ، ومستقيمة ، وانما حقيقته ايضا مشوشة كشريعته ..

### \* ما حكم الشك ؟ وكيف نصل اليقين ؟

الجواب : الشك طرف من الايمان ، مالم يزد عن حده فيصبح تقريراً واثباتاً لخلاف ما يجب الايمان به .. فان لم يكن كذلك ، فانه وقود للايمان ، وقوة له ، به ينمو ، ويزيد .. واليقين هو زيادة الايمان ، حتى يتجاوز مرحلة العقيدة ، الى مرحلة العلم .. وادناها علم اليقين ، واوسطها عين اليقين ، واعلاها حق اليقين .. وطريق زيادة الايمان العبادة ، والمعاملة .. واهم العبادة ، بعد المكتوبة ، قيام الليل ، بالصلاة ، في الثلث الاخير ، والاكثر من صيام النهار .. والقاعدة ، في المعاملة ، ان تعامل الناس بما تحب ان يعاملوك به ..

### \* حين تقول بامكانية تحرر الانسان من الخوف بمقدار علمه

اتعنى ان هذا التحرر نسبى بقدر نسبية علم الانسان الى

### علم الله ؟

الجواب : نعم

### \* يقول سارتر ليس هناك قدرة ما لم تظهر في العمل ( اذا كان في



امكانك ان تفعل شيئاً ولم تفعله فما كان في امكانك ) وتقول انت

ان المخلوقات هي مظاهر قدرة الله . هل كان يمكن ان يكون

الله قادرا من غير ان يخلق المخلوقات ؟

الجواب : الخلق يقع في ثلاث مراتب : مرتبة العلم ، ومرتبة الارادة ، ومرتبة القدرة .. وهذه الصفات الثلاث تعنى هذه المراتب ، العالم ، المرید ، القادر .. فالعالم احاط علما بالمخلوق ، والمرید حدد ، وخصص الصورة الأولى التى يبرز فيها المخلوق ، والقادر ابرز المخلوق الى حيز الوجود ، وفق احاطة العلم وتخصيص الارادة .. والى ذلك الاشارة بقوله تعالى « ولقد خلقناكم ، ثم صورناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين » وهذه الصفات الثلاث موجودة في كل واحدة منها ، ففى العالم موجودة صفتا المرید والقادر ، وفي المرید ، موجودة صفتا العالم ، والقادر ، وفي القادر موجودة صفتا العالم ، والمرید .. فهى ثلاث صفات و « الثلاثة واحد » .. فكأن العالم قادر ، وهو يعرف قدرته ، وان جهلها من عداه .. وكل علم لا يحوى القدرة فهو علم ناقص .. وهذا حظ البشر، ولكن علم الله كامل، والله به قادر .. كان ، ولم يزل ، ولن ينفك .. فكأننا نحن البشر قد نعلم ، ولا نريد ، واذا أردنا قد لا نقدر ، وذلك لنقص علمنا .. وهذا مايتفق مع قولة سارتر ..

واما قولنا ان المخلوقات هي مظاهر قدرة الله فيعنى ان الله ظهر لعباده في مخلوقاته . فالقدرة موجودة ازلا ، وابدا ، وسرمدا ، ولكنها كل يوم تظهر للعارفين ، فيزدادوا بالله معرفة .. وهذا معنى قوله

تعالى في حق نفسه « كل يوم هو في شأن » فشأنه تعالى هو اظهار ذاته لعباده بعلمه وارادته وقدرته .. فهو شأن يديه ولايتديه ..

**\* هل الروح شيء اصيل في المادة ، ام هي شيء قائم بذاته ، ام**

**هي ميكانيكية ، كما يقول بعض الفلاسفة ؟ ( الاجابة التي وردت**

**على السؤال نمرة ١٣ من اسئلة السنوسى تكاد تكون واضحة**

**ولكنها « ميتافيزيقية » فيما يختص بالروح )**

الجواب : عبارة « ميتافيزيقية » تستعمل في مقابلة عبارة « فيزيقية » عادة

.. « فيزيقية » تقال عن الوجود المادى ، الظاهر ، المؤثر في الحواس .

و « ميتافيزيقية » تقال عن الوجود النظرى ، المجرد ، الذى لا يؤثر في

الحواس ، ولكن يدرك بالعقل ، ويتصور ، على نحو من الانحاء ..

والكلام عندنا عن الروح لا يوصف بانه « ميتافيزيقى » لاننا نقول

ان المادة المحسوسة ، الظاهرة للحواس ، روح ، ولكنها في حالة من

الاهتزاز تتأثر بها الحواس .. والروح — في المدلول الشائع عنها —

مادة فى حالة من الاهتزاز لا تتأثر بها حواسنا .. فالامر عندنا وحدة

وليس ينطبق عليه تعبير « الفيزيقية » و « الميتافيزيقية » .. فالوجود

وحدة ، ذات شكل هرمى ، قاعدته مادة ، وقمته روح .. والاختلاف

بين القاعدة ، والقمة ، اختلاف مقدار ، وليس اختلاف نوع .

**\* معارضتكم لجبهة الميثاق هل ترتكز اساسا على تقديركم ان**

**الناس يمكنهم الآن ان يتجاوزوا مرتبة الشرائع الى مرتبة**

**الحقائق — اعنى هل آن الاوان لفكرتكم ان تطبق ؟**

الجواب : ان فكرتنا لا تقوم على ان الناس يسكن ان يتجاوزوا مرتبة

الشرائع الى مرتبة الحقائق .. فالناس سيظلون دائما في مرتبة الشرائع،

وما مرتبة الحقائق الا حظوظ فردية ، وهى مرتبة للتعامل تدخل في  
منطقة الاخلاق .. وهذه مرتبة اسمى من مرتبة الشرائع ، ولا يلزم  
احد بها احدا ، حين تكون مرتبة الشرائع ملزمة ، ومنفذة على  
كل الناس .. فكأن مرتبة الشرائع تمثل الحد الأدنى من مستويات  
السلوك ، وهو مستوى يطلب ، بالقانون من كل مواطن .. ويندب  
كل مواطن الى السلوك في مستوى الاخلاق ، ندبا غير ملزم قانونا ،  
وقد يكون ملزما عرفا ، ودينا .. ولما كانت الشريعة تمثل الحد الأدنى  
من مستويات السلوك فان لكل مجتمع ، في كل زمان ، مستوى قد  
يختلف عن مستوى سلفه .. ومن اجل ذلك فان شريعته قد تختلف ..  
وان يكون الاختلاف اختلاف نوع ، وانما سيكون اختلاف مقدار .. كأن  
يرتفع الحد الأدنى ، الملزم للناس كلهم ، فيدخل في حيزه امورا كانت ،  
فيما مضى ، في حيز الاخلاق التي يندب اليها افراد المجتمع ندبا غير ملزم  
كما سبق ان قررنا .. وهذا يتأتى عن طريق تطوير الشريعة في بعض  
صورها التي استنفدت طاقتها ، ولم تعد قادرة على استيعاب حاجة افراد  
المجتمع الجديد .. والتطوير يعنى عندنا الارتفاع من نص ، في القرآن ،  
كان صاحب الوقت في القرن السابع الميلادي ، الى نص ، في القرآن ،  
كان مدخرا ، يومئذ ، للانسانية تطبقه حين يصبح في طوقها تطبيقه -  
تطوير لبعض صور الشريعة الاسلامية التي خدمت اغراض مجتمع  
القرن السابع خير خدمة ، واصبحت قاصرة عن خدمة اغراض مجتمع  
القرن العشرين ، او لاتطوير - هذا هو مجال المعارضة ، والمفارقة ، بين  
فكرتنا الاسلامية ، وفكرة جبهة الميثاق ، والدعاة السلفيين جميعا ..  
اننا والسلفيين نتفق ونختلف .. نتفق في ان الشريعة الاسلامية كاملة ..  
ونختلف ، اذ يعتقدون ان كمال الشريعة الاسلامية في ثباتها على صورة

واحدة .. ونعتقد نحن ان كمالها في كونها جسنا ، ناميا ، حيا ، قادرا  
على التطور ، ومواكبة حياة المجتمع البشرى ، الذى ينمو ويتطور نمو  
بغير توقف ..

تطوير الشريعة الاسلامية عندنا يقع على جانب المعاملات  
فيما يختص بأمر المال ، وأمر السياسة .. اما الحدود ، واما  
التقصاص ، واما العبادات فأنها لا تكاد تتطور ..

وعجز السؤال الخاص برأينا فيما اذا كان الاوان قد آن  
لنكرتنا ان تطبق . نجيب عليه ، بكل تأكيد ، ان الناس لا يمكن ان  
يصلح حالهم بغير الاسلام ، منذ اليوم ، وان الاسلام ما هو الا ما  
ندعو اليه نحن ، دون سائر الداعين .. فأن رأى الناس دعوتنا  
غريبة فليذكروا نبوءة المعصوم حين قال « بدأ الدين غريبا ، وسيعود  
غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء !! قالوا من الغرباء يا رسول الله ؟  
قال الذين يحيون سنتى بعد اندثارها » .. ليس بين الدعاة من يعرف  
سنة المعصوم ، ويدعو الى احيائها ، بلسان الحال ، ولسان المقال  
غري ، وغير اصحابى ..

✽ اذا انتهيت عن اتيان الذنب لأنه يشقيني ، لا لأنه محرم :

هل يكفى ؟

الجواب لا !! لانك قد تجعل من نفسك حكما على الأمور .. فما  
يشقيك تترك اتيانه ، وما يسعدك تأتية .. وقد يسعدك عمل هو ،  
عند الله ، من موجبات الشقاء .. الفصيل فى هذا الباب قوله المعصوم  
« لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » فأن كنت تقصد  
من سؤالك هذا ، كما يمكن ان يشتم منه ، أنك ستترك الحرام ولكن  
ليس من خوف العقوبة عليه ، وانما لانك تشعر بأن فعل الحرام

يؤذى نفسك ، فأنت تكون بذلك قريبا من رأى العباد المجودين ،  
الذين قالوا « طاعة الله ، خوف عقابه ، وابتغاء ثوابه ، متاجرة .. »  
وهى عمل لا يليق بكبار الرجال .. لأن الله خالق ان يطاع ، وان  
يعبد ، لتمام جماله ، وكماله ، وان لم يخلق الجنة للثواب ، والنار  
للعقاب « .. المهم فى أمرك ان تأخذ ضوابط سلوكك من الشريعة ،  
حتى يجد عقلك التوجيه السليم ، من أمر خارج عنه ، حين تلتبس  
المسالك ، وتختلط السبل .. »

**\* الى اى حد تؤمنون بأن الغاية تبرر الوسيلة ؟**

الجواب : الغاية لا تبرر الوسيلة ، ولكنها تحددها ، لأن الوسيلة  
حُرْف من الغاية .. فالغاية العليا ، كالحرية ، لا يمكن التوصل الى  
منازلها بالوسيلة الدنيا ، كالنفاق ، مثلا ..

**\* هل الابعاد المعروفة تأخذ دلالاتها فى المكان المطلق ، كما عرفه**

**نيوتن . وكيف يكون الله هو البعد الرابع ، كما ذكرت انت فى**

**اجابتك للاخ السنوسى ؟**

الجواب : أول ما تجب الإشارة اليه هو انه ليس هناك مكان مطلق  
.. ولقد عرف نيوتن ما اسماء مكانا مطلقا بالعبارة الآتية : « المكان  
المطلق يبقى ، بطبيعته ، مستقلا عن أى ارتباط بالاشياء الخارجية ،  
ويظل ، سرمديا ، لا حراك به ، مشابها ، دوما ، لذاته » ان المكان  
مادة ، والمادة لا ثبات لها ، فهى فى حركة دءوب — حركة فى الصيرورة  
من الكم الى الكيف — فأن الحركة هى المادة ، وبنفس هذا القدر ،  
فليس هناك « زمان مطلق » كما زعم نيوتن ، لأن الزمن إنما هو وليد  
المادة ، هو هيئة المادة ، هو حركة .. ولكن ما اسماء نيوتن « بالمكان

المطلق » و « بالزمان المطلق » انما هو الوجود المطلق الوجود ،  
الذى يؤثر ولا يتأثر ، ويحرك ولا يتحرك .. انما هو الله ، سبحانه  
وتعالى .. وتسميته ، سبحانه وتعالى ، بالمكان ، أو بالزمان ،  
جائزة ، على شرط ان نعرف انه غير ما نتخيل من المكان ، ومن  
الزمان ... فأن كل ما فى الوجود اسماء لله ، تبارك وتعالى ، ولكن  
على نحو يتناهى فى الكمال ، حتى يخرج عن التصور ، ويجهل فيه  
الكيف .. فاذا علمت هذا فاعلم ان الابعاد المعروفة عندنا للمكان  
انما تأخذ دلالتها من هذا المكان المطلق ، لانها قيد فى المقاس المحدود  
الذى يمثل طرفا من المكان المطلق . وكل بعد من الابعاد الثلاثة ،  
يأخذ مدلوله من نسبته الى المكان المطلق ، وهذا هو المعنى الذى يراد  
من ان البعد الرابع انما هو الله — هو المكان المطلق ، والزمان  
المطلق — فما من بعد ، من الابعاد ، الا يأخذ مدلوله منه ، سبحانه  
وتعالى ، لأن به تعالى قيومية كل قائم ، فلولا لما كان وجود ،  
ولا عدم .. وهذا باب يطول شرحه ، وهو أصل التوحيد ، وفيه  
دقائقه .

\* يقول الماديون ان المادة موجودة خارج الذهن ، ويدحضون

الرأى القائل بانها احساس فقط ( SENSATION )

بقولهم ان العقل ذاته مادة ، وتقول انت ان المادة ، كما نألفها ،  
ونعرفها ، وهم من أوهام الحواس .. فهل تعنى بقولك

« كما نألفها ونعرفها » بانها فعلا موجودة خارج الذهن ، ولكن

احساسنا بها ما يزال خاطئا ؟

— اعنى ذلك ! فإنه ما من شك ان المادة موجودة خارج

الذهن البشرى ، وباستقلال عنه .. اعنى انها وجدت قبل ان يوجد  
 الذهن البشرى فى حيز الظهور .. ولكن وجودها ، كما تعضيه  
 الحواس ، انما هو مظهر لأمر وراءه ، لا نعرفه نحن .. اننا نعرف  
 بعض خواص المادة ، ولكننا لا نعرف كنهها .. ان المادة انما هى  
 مظهر لارادة الله العلى .. هى هو .. هى ذاته فى تنزلات ثلاث :  
 تنزلة الى مرتبة الاسم ، وثانية الى مرتبة الصفة ، ثم ثالثة الى مرتبة  
 الفعل .. مرتبة العلم والارادة والقدرة .. فكأن المادة انما هى علم  
 الله مجسدا .. المادة تجسيد الله .. وهى دليلنا عليه ، ودليلنا اليه  
 .. قال ، جل من قائل ، « سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى انفسهم ،  
 حتى يتبين لهم انه الحق ، أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟ »  
 ولقد قال العارفون « ما فى الكون الا الله » يعنون ان ليس فى الكون  
 الا ذات الله ، واسماؤه ، وصفاته ، وافعاله .. والمادة فعله فى حيز  
 المحسوس .. هذه هى المادة « كما تألفها ونعرفها » كما ورد بذلك  
 التعبير الذى اشرت انت اليه فى سؤالك ، وهى ، فى هذا المستوى ،  
 وهم من أوهام الحواس ، لانها ، عندما تفتتت بانفلاق الذرة ، ظهر  
 انها طاقة ، « تدفع » ، « وتجذب » فى الفضاء — ظهر انها حركة —  
 وعندما تتركز هذه الحركة فى نقطة معينة ، بسرعة تختلف عما حولها ،  
 يبرز تجسيد لها ، بصورة تلفت الانتباه ، فيكون ما يعرف عندنا  
 بالمادة ، حتى لقد قادت هذه الظاهرة بعض العلماء الى خطأ شائع ،  
 وهو قولهم ان « الحركة هى شكل وجود المادة » ولقد تبنى هذا  
 الخطأ الماركسيون أيضا ، وهذا فريدريك انجلس يحدثنا ، من كتاب له  
 أسمه « ضد دوهرنغ » فيقول : « ان وحدة العالم ليست فى كيانه  
 .. بل فى ماديته .. وهذه المادية قد اثبتتها .. تطور طويل ، وشاق ،  
 للفلسفة ، وعلوم الطبيعة .. الحركة شكل وجود المادة .. لم يوجد ،



قط ، ولا يمكن ان يوجد ، ابدا ، في أى مكان ، مادة بدون حركة ،  
ولا حركة بدون مادة .. ولكن ، اذا تساءلنا .. عن ماهية الفكر  
والادراك ، وعن مصدرهما ، نجد انهما نتاج الدماغ الانسانى ، وان  
الانسان ، نفسه ، هو نتاج الطبيعة ، الذى نما ، وتطور ، في محيط  
طبيعى معين ، ومع هذا المحيط .. واذا ذاك يغدو ، من البداهة ، ان  
نتائج دماغ الانسان ، التى هى أيضا ، عند آخر تحليل ، نتائج  
للطبيعة ، ليست في تناقض ، بل في انسجام مع سائر الطبيعة » وكان  
حديث انجلس هذا في تدعيم حديث لماركس ، ورد في كتابه « رأس  
المال » المجلد الاول ، في توضيح ، في آخر الطبعة الثانية ، وذلك  
حيث يقول « يرى هيجل ان حركة الفكر ، هذه الحركة التى يشخصها ،  
ويطلق عليها أسم الفكرة ، هى الاله ، ( الخالق ، الصانع ) ، للواقع ..  
اما انا فأنى أرى العكس : ان حركة الفكر ليست الا انعكاسا لحركة  
المادة ، منقولة الى دماغ الانسان ، ومتحولة فيه » وسنعود للحديث  
عن خطأ الماركسيين في السفر الخاص « بالماركسية في الميزان » ..  
ولكن الذى يهمنا هنا هو ان نقرر ان الحركة ليست « شكل وجود  
المادة » وانما هى المادة نفسها ، في اعلى صورها المحسوسة ، ثم  
لا يكون بعد تطور الحركة الا غياب المادة عن الحواس .. والحركة  
انما هى التطور المستمر ، من اسفل الى أعلى ، ومن صور غليظة ،  
الى صور رفيعة ، ومن كم الى كيف ، ومن بعد ، الى قرب ، ومن  
جهل الى معرفة ، وقد عبر عنها القرآن عبارات هى نهاية الدقة ،  
وذلك حين قال ، جل من قائل ، « ياايها الانسان انك كادح الى ربك ،  
كدحاً ، فملاقيه » يعنى ياايها الانسان ان الله مسيرك سيرا حتميا —  
اردت أو لم ترد — من الجهل الى المعرفة ، لأن ملاقات الله لا تكون  
في مكان ، ولا في زمان ، وانما تكون بتقريب صفات

العبد ، من صفات الرب .. فأن الله تبارك وتعالى خلق الانسان على صورته ، فأنه ، جل وعلا ، حي ، وعالم ، ومريد ، وقادر ، وسميع ، وبصير ، ومتكلم .. وقد خلق الانسان — أى انسان — فجعله حيا ، وعالما ، ومريدا ، وقادرا ، وسميعا ، وبصيرا ، ومتكلما ، ولكن صفات الله تعالى فى نهاية الكمال ، وصفات الانسان فى نهاية النقص ، ثم ان الله تعالى سير اليه الانسان فى مراقى الكمال ، بالتطور المستمر فى هذه المراقى ، وكلما حقق الانسان كمالا ، كلما ظهر له ان الكمال الذى أمامه أكبر مما حقق ، فسار يرقى المراتب ويقطع درجات القرب ، بارادة منه ، وبغير ارادة .. وهذا معنى قوله ، تبارك وتعالى : « يا ايها الانسان انك كادح الى ربك ، كدحا فملاقيه » وملاقاة الله سير سرمدى ، فى الاطلاق ، وهذا يعنى ان ليس هناك حد لتطور الانسان ، وترقيه .. والتطور ، فى جميع عناصر الوجود ، انطلاق لا يعرف الاستقرار .. ولقد عبر عنها القرآن بقوله تعالى « كل يوم هو فى شأن » وثأنه ، تعالى ، ظهوره لخلقه ليعرفوه .. ويومه ، تعالى ، ليس اربعا وعشرين ساعة ، وانما يومه ، تعالى ، وحدة زمن ظهوره .. وهو يتناهى فى الدقة ، حتى ليكاد ان يخرج عن الزمان .. فكل دقة فى الوحدة الزمنية امكنك تصورها فهى يومه .. جزء من بليون جزء من الثانية ، مثلا .. وما هو ادق من ذلك فى تصور العقول الكبيرة .. فكأن الوجود حركة لا تنقطع ، على الاطلاق ، الى غاية لن يبلغها ، لانها الاطلاق .. والحركة الحسية ، فى جميع الجهات .. لأن الحركة المعنوية من الجهل الى العلم .. وقد عبر القرآن عن الحركة فى جميع الجهات بقوله تعالى « وترى الجبال

تحسبها جامدة ، وهى تمر مر السحاب ، صنع الله ، الذى اتقن كل شىء ، انه خير بما تفعلون » ويجب ملاحظة انه لم يقل « وترى الجبال تحسبها ( ثابتة ) » وانما قال تحسبها ( جامدة ) وهى كلمة تنفى ثبات التكوين ، وتدل على ان حجارة الجبل تتعرض لحركة مستمرة ، لا تقف ، تنتظم ذرات تكوينها الداخلى ، كما يحدث لسحابة الدخان ( بخار الماء ) ثم هو ، بعد ان قرر الحركة فى داخل التكوين الذرى للجبال ، قرر أيضا مروره عبر الفضاء ، فى جميع الجهات ، وذلك حين قال « وهى تمر مر السحاب » ..

ثم ان هذه الحركة الدءوب ، التى تنتظم جميع العناصر ، فى جملتها ، وفى تفصيل تكوينها ، انما جعلها الله مسخرة للانسان ، وهو طبيعة العناصر ، لينتقل بهذه الحركة من كم الى كيف .. من جسم الى عقل .. من جهل الى معرفة .. من حيوان الى انسان .. ( الى اله ) وهناك كثير يقال فى هذا الباب ، ولكن يبدو انى سأقف عند هذا الحد .. ثم ان اسئلتك التى تتطلب توسعا فى شرح بعض ما ورد فى « الرسالة الثانية من الاسلام » وما ورد فى الرد على بعض اسئلة الاستاذ السنوسى ستؤجل ، فى الوقت الحاضر ، نسبة لضيق الوقت ، وانى لارجو ان نتحدث عنها حديثا خاصا ، قد يغنى عن الكتابة فيها ، ذلك لأن اصولها قد وردت فى هذين الاصلين .. هذا وانى لارجو ان تتقبل فائق تقديرى •

المخلص

محمود محمد طه

امدرمان فى ٧ ربيع اول ١٣٨٨

٣ يونيو ١٩٦٨

الاسئلة التالية موجهة من الاستاذ محيى الدين عووضه  
نسجل معها الأجوبة عليها ..

### \* ما رأيكم حول مسألة القضاء والقدر ؟

مسألة القضاء ، والقدر ، مسألة أزلية .. تظهر ، وتختفى ، فى  
صرر مختلفة ، ولكنها دائماً تبحث عن الحل .. ويظنها بعض الناس  
انها ترف فكرى ، فيصرفونها عنهم ، حين يعجزون عن حل لغزها ..  
وما هى ، فى الحقيقة بذلك ، وانما هى مسألة عملية ، يتوقف على  
فهمها استقرار السلام فى مقبل الايام على هذا الكوكب ، الذى  
مزقته الحروب الاهلية المستطيرة بين ابناءه ، ذلك بأنه لن يتحقق  
على الأرض السلام الا اذا كان كل فرد فى سلام مع نفسه التى  
بين جنبيه .. ولن يكون فرد فى سلام مع نفسه الا اذا ادرك مشكلة  
القضاء ، والقدر ، هذه ..

انظروا الى العوالم التى حولنا ، وانظروا الى كوكبنا ، هذا  
الذى نعيش عليه ، بل انظروا الى اجسادنا ، فأنها ، جميعاً ، لدقة  
تركيبها ، ودقة عملها ، نعجز عن فهمها ، وعن السيطرة عليها ،  
والتصرف فيها ، ولكننا ، نعلم انها ، جميعها ، تسير وفق قانون  
دقيق ، ومرتب ، ومحسوس .. ليس للمصادفة فيه مكان .. فهو  
يعرف بدايته ، ونهايته ، ويعرف وسيلته ، وغايته .. فهذا القانون  
فى جملته ، التى لا ترتبط بالزمان ، ولا بالمكان ، هو القضاء ، وفى  
تفصيله الزمنى ، والمكانى ، هو القدر .. والقضاء ، والقدر ، هو  
قانون العقل الازلى الذى ، ما عقولنا الا أقباس منه .. ونحن

بالنسبة للقضاء ، والقدر ، مجبرون ، ومخيرون ، فى آن معاً : نحن مجبرون بالنسبة الى الجانب الذى نجهله من القانون ، ومخيرون بالنسبة الى الجانب الذى نعلمه منه .. فكأن ثمن الحرية هو المعرفة ، فاذا اطردت معرفتنا اياه ، حتى استوعبناه ، حققنا حريتنا ، وكنا فى سلام مع انفسنا . ونحقق بذلك السلام على الارض .

### ✳ ما رأيكم حول علاقة الفرد بالمجتمع ؟

المجتمع اعظم ابتداء تفتق عنه الذهن البشرى بعد الدين .. وهو اقوى وسيلة توصل بها الفرد لأحراز حريته الفردية المطلقة ، بعد وسيلة الدين أيضاً ، ذلك انه عندما كان الانسان وحيداً ، وضعيفاً ، لا ينهض بجميع التزامات حياته من غذاء ، وكساء ، ودفاع ضد الاعداء ، تم بينه ، وبين المجموعة ، اتفاق صامت على ان يتنازل لها عن قسط من حريته .. ولقد كان لتنازله هذا فائدة اخرى ، تعود عليه ، وهى تزويضه على كبت رغائبه ، وغرائزه ، غير الاجتماعية . ثم لم يزل الانسان يحسن من نفسه ، فيجعلها اكثر مدنية ، من ذى قبل ، ويحسن فى مجتمعه ، فيجعله اكثر تسامحاً ، واقل عنفاً ، من سابق عهده ، حتى يقل ، بفضل الله ، ثم بفضل اسماح المجموعة ، الثمن الذى يدفعه ، من حريته الفردية لقاء ارتفاعه بنظمها السياسية ، والاقتصادية .. وهكذا ، دواليك ، حتى يجىء اليوم الذى تكون فيه المجموعة البشرية ، هى من الاسماح ، بحيث تتقاضى الفرد البشرى اقل قدر ممكن ، من حريته ، وتوفر له أكبر قدر ممكن من التشجيع ، الذى ييسر له بلوغ حريته الفردية المطلقة ، من غير ان يكون فى ذلك اضرار بالمجموعة .. ذلك لأن

الفرد ، الكامل ، الحر ، هو غاية الجماعة الكاملة ، الحرية ..  
\* ما رأيكم حول العلاقة بين الحقيقة الكونية ، والفكر الانساني ؟  
الانسان صورة ، مصغرة ، من الحقيقة الكونية ، فهو يحوى  
كل ما فيها . ولكن ذلك موزع بين عقله الواعى ، وعقله الباطن ،  
وما عمل الانسان فى التعلم الا ايقاظ المعانى النائمة فى عقله الباطن ،  
حتى ترتفع الى مستوى عقله الواعى ، فيدركها . ويعينه على هذا  
الايقاظ ، الحوادث التى يزخر بها الوجود من حوله . والى ذلك  
الاشارة بقوله تعالى : « سفيهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى انفسهم ،  
حتى يتبين لهم انه الحق ، أولم يكف بربك انه على كل شيء  
شهيء ؟ » ..

### \* ما رأيكم فى فلسفة التاريخ البشرى ؟

التاريخ البشرى هو سيرة الحياة على هذا الكوكب ، منذ ان  
كانت دودة « اميية » ، طافية على وجه الماء ، الى ان اصبحت  
بشراً سويماً .. وهى لا تزال منطلقة فى سيرها الى انجاب  
« الرجل » ..

والتاريخ كروى ، كالكرة الارضية ، فهو لا ينفك يدور حول  
نفسه . فيعيدنها بصورة من الصور .. هو عند الامم المتخلفة ،  
يعيد نفسه ، بصورة تكاد تكون مماثلة للماضى ، كل المماثلة ، وذلك  
لقلة التفكير ، ولانعدام الابتكار ، ويقل ، من ثم ، التقدم .. وهو ،  
فى الامم المتقدمة ، يعيد نفسه بصورة تختلف ، كثيراً ، أو قليلاً ، عن  
الماضى .. وذلك تبعاً لحرية الفكر ، والمقدرة على الابتكار . ويكون ،  
من ثم ، التقدم .. فكأن الامم المتخلفة فى الفكر ، وحرية ، تسير  
فى حلقة مفرغة ، فهى تجد نفسها دائماً حيث بدأت ، واما الامم

المتقدمة فتسير في طريق لولبي ، يرتفع ، كلما تقدم بها الزمن ، نحو  
غايتها المرجوة ، وهي انجاب « الرجل » ..  
فالتاريخ البشري ، هو ، اذن ، خط سير الفكر البشري ، في  
الزمان ، والمكان ..

### \* ما هي نظريتك في الاخلاق ؟

بداية الاخلاق ضبط الغرائز ، الذي كانت تتطلبه المجموعة  
الأولى من الفرد ، ليكون اجتماعيا .. ونهاية الاخلاق هي حسن  
التصرف في الحرية الفردية المطلقة ..  
فالاخلاق مرتبطة بالفكر دائما ، ومرتبطة بالجماعة .. وهي  
ليست غاية في ذاتها ، وانما هي وسيلة لخدمة الجماعة أولا ،  
ولاذكاء الفكر ثانيا .. وعملها في اذكاء الفكر ، وفي تحريره ، هو  
عملها الاساسي ، لأنه يؤدي الى انجاب الفرد الكامل ..  
وبعد ، فقد عالجت هذه الاسئلة في ايجاز شديد لضيق الحيز ،  
الذي يسمح به المقام ، هذا مع ان اسئلتك تحتاج الى اسبهاب  
واطناب ..

محمود محمد طه



الجبلىن فى ١٦/٣/١٩٦٣

عزىزى بشىر — تحىة طىبة مباركة .. وبعء فقء طال الوقت على سؤالك ، وانت لاءء مقءر ما نحن فىه من شغل شءىء ، من ناحىة الءعوة من جانب ، ومن ناحىة اعمالنا الخاصة من جانب آءر .. فأرجو ان تكون عاءرا ..

سؤالك :-

✽ ما هى الحكمة فى ان الطهارة الكبرى لكل الجسء ، والصفرى

لبعض الاعضاء ؟

أول ما ءجب الأشارة الىه ان الطهارة ، والنجاسة ، أمران ىءلءقان بالقلب ، فى المكان الاول ، ءم بالجسء ، فى المكان الثانى . ءم بالءوب ، فى المكان الثالث ، ءم بموضع العبادة ، فى المكان الرابع . والمهم هو القلب . فإنه بىء الله وموضع مظهر الله الى العء . « وعهءنا الى ابراهىم ، واسماعىل ، ان طهرا بىءى للءائفىن ، والعاكفىن ، والركع السجوء » ومن نجاسة البىء الحرام ان ءكون فىه اصنام الحجارة .. ومن نجاسة قلب العء ان ءكون فىه اصنام الشهوات ، والعاءات ، والاغىار .. وقء جعلء النجاسة الحسىة ءلىا على النجاسة المعنوىة .. أى نجاسة اعضاء الجسء جعلء ءلىا على نجاسة القلب للقرىنة القائمة بىنهما ، وقء ورءء الىها الاشارة فى قول المعصوم : « ان فى الجسء مضغة ، اذا صلء صلاء سائر الجسء ، واذا فسءء فسء سائرء ، الا وهى القلب » .

وهناك حديث عن المسيح ، بلغنا ، يقول فيه : « ليس ما يدخل الفم ينجس الجسد ، وإنما ينجس الجسد ما يخرج من الفم » يعنى المتحدث فيما لا يعنيه .. يعنى القول بجهالة : « وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .. ويعنى ما عناه المعصوم حين قال : « وهل يكب الناس على وجوههم فى جهنم غير حصاد السنتهم ؟ » وطهارة النجاسة الحسية انما تكون بالماء ، ولا تكون الطهارة المعنوية الا بالعلم — فكأن الماء رمز للعلم : « أنزل من السماء ماء ، فسالت اودية بقدرها .. » فالماء ، هنا ، فى التفسير الباطنى ، « القرآن » .. والأودية « القلوب » ..

فاذا قام المتطهر بغسل الاعضاء الظاهرية فقد وجب ان يستحضر العلم ، دائماً ، ليقوم بتطهير قلبه فى نفس الوقت الذى يظهر فيه اعضاءه ..

فاذا أخذت الطهارة الصغرى ، مثلاً ، فأنها انما تنصب على جميع الحواس الخمس ، يزداد عليها الجوارح التى يكون بها الكسب والاكْتساب ، مثل الرأس ، والساعد ، والرجل ، والدبر ، والقبل .. وهذه الحواس ، والجوارح ، هى ابواب القلب على العالم الخارجى ففى تدخل عليه الظلام ، اذا استعملت استعمالاً خاطئاً ، وتخرج منه الظلام ، وتدخل عليه النور ، اذا استعملت استعمالاً صالحاً .. هى ابواب النار ، وهى ابواب الجنة .. ولا تكون الطهارة الصغرى مؤدية للمراد منها الا اذا اقيمت عن علم .. وأول العلم النية فيها .. فأنه لا يكفى ان يقول المتوضىء مثلاً : « نويت أن أتوضأ » ثم يذهب فى غسل اعضاء الوضوء ، كما يفعل الناس الآن .. ذلك بان النية ،

عند العارفين ، عمل متجدد ، فهي يجب ان تصحب سائر حركات  
الوضوء .. ويجب ان يستحضر المتوضىء ما اكتسب بالعضو الذى  
يطهره بالماء ، مما ادخل ظلاما على القلب ، فنجسه ، فاذا ما تذكر خطيئة  
ارتكبت ندم ، واستغفر ، وتاب الى ربه .. مثلا ، اذا اخذ العارف  
ابريقه ، وذهب ليستبرىء ، اخذ فى التفكير فى مجلسه ذلك .. هل  
الطعام الذى يتغوطه ، ويتبوله الآن ، كان قد كسب من حلال ؟ وهل  
ادى فيه ما يجب من حق للسائل ، والمحروم ؟ وهل اسرف فيه ؟ أم  
هل اعتدل ؟ فاذا تذكر خطاه فى أى ذلك استغفر .. وبالاستغفار ،  
والندم ، يطهر القلب .. ثم انه ، اذا فرغ من أمر الطعام ، اخذ  
يتذكر هل حفظ جوارحه تلك ؟ أم هل فرط فيها ؟ وهكذا ، وكلما تذكر  
امراً ندم ، واستغفر ..

ثم هو اذا اخذ فى الوضوء بغسل يديه ، يتذكر ما اجتزره  
بهما .. هل مس بهما محرماً عليه ؟ هل آذى بهما ؟ هل قبضهما عن  
معروف ؟ الخ ، الخ .. فاذا تذكر شيئاً ندم ، واستغفر ، وتاب ،  
وهكذا يفعل بجميع اعضائه ، حتى اذا انتهى من الوضوء الى رجليه  
كانت النية قد تمت ، وكذلك طهارة الاعضاء بالماء ، وطهارة القلب  
بالمعلم .. ولقد اجملت لك محاسبة المحاسب لنفسه لأنك تعلمها  
جيداً ، ولا يتسع زمنى الحاضر للتفصيل ..

وكما قلنا ، فان النجاسة الحقيقية هي نجاسة القلب ، بالغفلة  
عن الله .. ولا تكون نجاسة القلب بالغفلة عن الله الا بما تجترحه  
الجوارح من اخطاء ، لأن هذه الجوارح هي ابواب القلب على عالم  
النور ، وعلى عالم الظلام .. والى ذلك الاشارة بقوله تعالى :

« كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وانما فرضت الطهارة الصغرى على الاعضاء التى فرضت عليها لتكون طريقا الى تطهير القلب بماء المعرفة ، كما سبق المثل ..

والغفلة عن الله درجات ، بعضها اشد من بعض ، وسببها حب الدنيا .. وحب الدنيا ، ممثلا ، فى شهوة البطن ، والفرج ، وما تستتبع هذه الشهوة من الحيل ، والحبائل .. وقد جاء الوضوء للتطهير من شهوة البطن ، وكذلك جعلت موجباته خروج الريح ، والبول ، والغائط .. وجاء الغسل للتطهير من شهوة الفرج .. وشهوة الفرج اقوى من شهوة البطن ، ولذلك فان الغفلة بمقتضاها اشد من الغفلة بمقتضى شهوة البطن .. والافراز المنوى ، الذى به تتم شهوة الفرج ، يخرج من كل ذرات الجسد ، ولذلك فقد زادت الطهارة منه على اعضاء الوضوء ، وانصببت على سائر اعضاء الجسد ، وذلك لشدة استغراق اللذة لجميع ذرات الجسد .. والدليل على ان الغفلة ، عن الله ، فى حالة شهوة الفرج ، اشد من الغفلة عنه ، فى حالة شهوة البطن ، لا يحتاج الى طويل برهان ، فانه معروف ، بالتجربة ، ان الرجل اذا كان موزع البال ، غير مجرد القصد ، وموحده ، فى حالة الواقعة ، فانه لا يتم له الانتصاب ، ولا يأتى منه شىء ، ثم انه لا تكون منه الواقعة حتى تستغرق الشهوة فكره ، فى تلك اللحظة ، استغراقاً تاماً ، كاملاً ، لا يتأتى مثله لغير هذه الشهوة .. فالحكمة ، اذن ، فى ان الطهارة الكبرى لكل الجسد ، والطهارة الصغرى لبعض الاعضاء ، انما تلتبس فى التفاوت فى مبلغ الغفلة ، عن الله ، فى كليهما .. ولقد عرف العارفون ان شهوة البطن ، مع انها سابقة على

شهوة الفرج ، غير ان هذه أصل من تلك .. وفي التماس اللذة ، في غير الله ، انشغال بالنعمة ، عن المنعم ، وهذا يدخل على القلب من نجاسة الغفلة ما هو الحكمة وراء الطهارات ، من حيث هي ، صغرى وكبرى .. ولكي يقلل العارفون من غفلتهم لدى التماسهم شهوتي البطن ، والفرج ، اتجهوا بهما الى الله ، بالنية الصالحة ، فهم ، ان اكلوا ، نوا بذلك القوة على العبادة ، وان توسعوا في اطياب الاكل ، في غير اسراف ، نوا تدريج النفس على هينة ، ليحملوها على العزائم ، والمجاهدة ، وهي طائفة ، ومؤاتية ، وذلك لحسن السياسة الرشيدة ، والتأتى الحكيم .. وهم ، ان نكحوا ، نوا امتناع الحيلة ، وصيانتها .. ونوا ابتغاء الذرية الصالحة ، ونوا ، الى ذلك كله ، امتناع النفس من اللذة الحلال ، لتزى المنعم في النعمة ، فتأنس اليه ، وتحبه ، وتتعلق به .. ومع كل أولئك ، فهم يستغفرون الله كثيرا عند فراغهم من لذاتهم ، ليطهروا قلوبهم من غفلة التماس اللذة في غيره ..

قلنا ، في اول هذا الخطاب : « وطهارة النجاسة الحسية انما تكون بالماء » ولا يفوتنا ان الصعيد بديل عن الماء ، حيث تعذر وجوده ، أو تعذر استعماله .. وانما جعل الصعيد مطهراً للأجساد لأنه اصلها الذي منه نشأت ، فاذا ما رجعت اليه ، تلتمس عنده الطهارة من النجاسة الحسية ، وجب ان ترجع القلوب الى اصلها الذي منه نشأت تلتمس عنده الطهارة من النجاسة المعنوية ..

والاصل الذي نشأت منه القلوب هو الله ، جل وعلا .. فرجع الأمر الى ما سبق ذكره ..

وانما يكتفى في الطهارة الترابية بمسح الوجه ، واليدين ، لأن  
الوجه صفحة القلب ، واليدين صفحة العقل .. والمرء باصغريه :  
قلبه ، ولسانه ، أى قلبه ، وعقله .. ما ارى الا أن الحديث سيطول ،  
ولا يتسع له الوقت الحاضر ، فان رأيت ان هذا لا يكفيك فاكتب لى  
عما بدا ، وسأعود .. والله يتولى ارشادى ، وارشادكم ..

المخلص

محمود محمد طه

## بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزى / السيد على حامد قنجارى ،

تحية طيبة مباركة ،

وبعد فقد اطلعت على بحث الاخ السيد طه الكردى عن خلق القرآن ، ولما كنت قد وعدتك بالتعليق فأنى ، وفاء بذلك الوعد ، أحرر هذه السطور ، والله المسئول أن يهدينا جميعا الى المحجة البيضاء ، وأن يهدى بنا ، انه سميع مجيب :-

✽ المعانى تؤخذ من الله لا من الكلمات ..

معلوم ان قضية خلق القرآن قضية قديمة ، وكانت ، فى وقت اثاريتها ، فتنة من الفتن المشهورة فى تاريخ الاسلام ، فاذا اعادها علينا ، اليوم ، الاخ الكريم طه الكردى فأنى لانتظر من اعادتها خيرا كبيرا ، يتمثل فى دقة الفهم الذى يمكن أن ينتج عن التعمق فى بحث الاصول التى تقوم عليها هذه القضية الخطيرة .. وأول ما تثيره هذه القضية هو الفرق بين الكلمة والمعنى .. فان الكلمات ، بحكم انها نشأت من اضطراب الناس فى حياتهم اليومية ، الجسدية ، قد أخذت معانى محدودة ، وألف الناس أن يعتبروا هذه المعانى المحدودة أمرا تعطيه البداهة ، ولا يحتاج الى تعمق ، ولا الى اعمال فكر .. فلو سألت أحدهم عن معنى كلمة « مخلوق » لقال لك أن معناها معروف ، فالمخلوق غير الخالق .. وهذا أمر بديهى .. ولكنك ، اذا تعمقت القضية ، وجدت أن معنى كلمة « مخلوق » أبعد شئ من أن يكون بديهيا .. وفى الحق ، ان العارفين أنما يعتبرون الكلمات اشارات للمعانى .. فهى توجه اليها ، ولا تعطىها ، وانما تؤخذ المعانى من الله ، بحسن التوجه اليه ، وتمام الحضور معه ،



وذلك هو توحيد .. فإذا قالت اللغة ان المخلوق غير الخالق ، فإن التوحيد يقول ليس هناك غيرية .. فما في الكون الا الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، فالمخلوق هو مظهر الله ، في مرتبة الفعل ..

### ✽ الباطل المطلق لا يدخل في الوجود ..

وليس في المخلوقات باطل بعينه .. أى من جهة نظر الله الى الكون .. وانما الباطل حكم عقلى ، أو قل شرعى ، من جهة نظر الانسان الى الكون .. والحكمة وراء الحق ، والباطل ، ان يتعلم الانسان ليصير من التعدد الى الوحدة ، ذلك بأن العقل لا يدرك مدركاته الا عن طريق الحواس ، والحواس تعطى التعدد ، والتعدد مظهر الواحد . وآخر منازل التعدد ، في الترقى الى الوحدة ، هو الثنائية .. الحق والباطل .. يقول تعالى في ذلك .. « وما خلقنا السماء ، والارض ، وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار » أم نجعل الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، كالمفسدين في الارض ؟ أم نجعل المتقين كالفجار ؟ ✽ كتاب انزلناه اليك ، مبارك ، ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الالباب »

« باطلا » هنا تعنى عبثا — لغير حكمة — وقوله « ذلك » أى خلق السموات ، والارض ، وما بينهما لغير حكمة هو « ظن الذين كفروا » .. وقد توعدهم الله بالنار جزاء على هذا الظن الفاسد .. وحكمته من وجوب النار لهم اخراجهم من الفساد الى الصلاح ، أو قل ، من الباطل الى الحق .. وقد أنزل الله الكتاب ليغنى من تداركته رحمة الله عن النار ، وذلك بالتدبر والتذكر .. فقال : « كتاب أنزلناه اليك ، مبارك ، ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الالباب » ..

والحق معانى ، وأوانى للمعانى ، « أى أجساد » والباطل

معانى ، وأوانى للمعانى .. وأعلى معانى الحق الحقيقة ، وأعلى أوانى الحق أحمد .. وليس هنالك باطل مطلق ، ليقابل الحق المطلق ، لا فى المعانى ، ولا فى الأوانى ، ذلك بأن الباطل المطلق لا يدخل فى الوجود .. وأبعد معانى الباطل عن الحق الشرك ، وأبعد أوانى الباطل عن أحمد ابليس ، ومع ذلك ، فأن ابليس ، وهو أكبر من مثل أقصى الشرك ، إنما هو مظهر لله فى مستوى الفعل ، ومن أجل ذلك فإنه ليس باطلا مطلقا .. فقول الله تعالى فى ذلك « وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ، ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » وقال المعصوم « من آمن فقد آمن بقضاء وقدر ، ومن كفر فقد كفر بقضاء وقدر ، رفعت الاقلام ، وجفت الصحف »

**\* ابليس عالم ولكنه ليس تقيا ..**

ومعنى أن ابليس ليس باطلا مطلقا أن عين ابليس حق ، ولكن علمه باطل ، لأنه جهل بالله ، وجهل بقدر نفسه ، ومن أجل ذلك أشرك نفسه مع الله .. قال تعالى عنه .. « قال ما منعك الا تسجد اذ أمرتك ؟ قال أنا خير منه ، خلقتنى من نار ، وخلقته من طين » قال فأهبط منها ، فما يكون لك ان تتكبر فيها ، فاخرج أنك من الصاغرين » فالباطل ، على ذلك ، وجه من وجوه الحق ، والجهل إنما هو أمر نسبى ، فَمَا هو علم اليوم ، يصبح جهلا غدا .. ولا يعنى هذا ، بالطبع ، ان العلم المطلق غير موجود ، بل الحق ، والحق أقول ، لا يكون النسبى الا بالاشارة الى المطلق .. وفى العبارة التى رد بها ابليس على سؤال الله تعالى اياه علم ، ولكنه علم ناقص ، ولذلك لم يكن نافعا ، ولا عاصما عن الخطأ فى السلوك ، فإنه حق ان الله خلق ابليس من النار ، وخلق آدم من الطين ، ولكنه ليس حقا ان النار أشرف من الطين عند الله ، كما ظن ابليس .. وهذا يمكن ان يساق مثلا فى الجهل ، أو قل فى العلم الناقص الذى يختلط فيه

الجهل بالعلم ، ثم يكون نصيب الجهل فيه أكبر من نصيب العلم ،  
فيصير الى ما هو غالب عليه ، وهو الجهل ..

### \* لكل ذرة في الوجود شكل هرمي ..

نريد ان نخرج من هذا الاستطراد بان العلم والجهل وجهان  
لعملة واحدة ، التفاوت بينهما تفاوت مقدار .. ونريد من هذا  
الاستطراد ان نقرر ان الحق والباطل وجهان أيضا لامر واحد ،  
وهما معا مظهران للحقيقة الواحدة ..

الحق مظهر للحقيقة الباطل فيه مغلوب ، فهو من ثم حق ..  
والباطل مظهر للحقيقة الحق فيه مغلوب ، وهو من ثم باطل .. وقد  
قلنا ان أحمد اناء الحق ، وأحمد مخلوق .. وقلنا ان ابليس اناء  
الباطل ، وابليس مخلوق ، والفرق بين المخلوقين ان أحمد هو الوجه  
القريب من الحقيقة ، وابليس هو الوجه البعيد .. وقول الله  
تعالى « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ، ذو الجلال والاكرام »  
يعنى ان الوجود له شكل هرمي ، قمته أحمد ، وقاعدته ابليس ..  
فأحمد هو وجه الوجود الذى يلى الله ، وهو من ثم باق ، لا يفنى  
الا قليلا .. وابليس هو وجه الوجود الآخر ، البعيد من الله ، وهو  
من ثم فان ، لا يبقى الا قليلا .. وفناؤه إنما هو تقلبه فى الصور ،  
يطلب البقاء ، بالترقى ، والتطور المستمر فى مراقى الحق .. وكل  
ذرة من ذرات الوجود لها شكل هرمي .. الحق ، فى ذلك ، والباطل  
سواء .. أحمد وابليس فى أمر الشكل الهرمي سواء .. ولكن  
التفاوت بينهما فى المقدار .. بمعنى ان الهرم الأحمدي رفيع القمة  
رفيع القاعدة ، وأما الهرم الابليسي فإنه كثيف القمة ، كثيف  
القاعدة .. والقمة ، والقاعدة ، وما يجرى من تفاوت فى الدرجات  
بين القمة والقاعدة إنما هى مظاهر الله .. والله ، تبارك وتعالى ،  
فى حد ذاته ، غنى عن المظاهر ، وإنما ظهر لحاجتنا نحن لمعرفة ،

وبمظاهره عرفناه .. وهناك حديث قدسى قال الله تعالى فيه ..  
« كنت كنزا مخفيا ، فأردت ان اعرف ، فخلقت الخلق ، فتعرفت  
اليهم ، فبى عرفونى » والكنز المخفى اشارة الى الذات فى مرتبة  
الصرافة ، وهى مرتبة فوق العبارة ، وفوق الاشارة ، لا تعرف ..  
فلما أراد تعالى ان يعرفه عباده تنزل من مرتبة الصرافة الى مرتبة  
الاسم ، فسمى نفسه الله .. ثم تنزل الى مرتبة الصفة ، فسمى  
نفسه الرحمن ، ثم تنزل الى مرتبة الفعل ، فسمى نفسه الرحيم ،  
ثم تعلقت بهذه الأسماء ، الأسماء الحسنى ، التى سُمى بها تعالى  
نفسه ، ثم قال « قل ادعوا الله ، أو ادعوا الرحمن ، أيا ما تدعوا ،  
فله الأسماء الحسنى » والأسماء الحسنى تنزلات فى المدارج ، وهى  
تتفاوت ، تتفاوت مقدار ، وأقربها الى فهمنا الأسماء ذات الضد ،  
مثل المحيى ، المميت ، أو الضار ، النافع ، أو المعز ، المذل .. وانما  
كانت هذه الأسماء الزوجية اقرب الى فهمنا لأن الازدواجية ،  
بطبيعتها ، أقرب الى ادراك العقول .. ومن هذا الباب فأن الله هو  
الذى يهدى ، وهو الذى يضل .. قال تعالى : « يضل به كثيرا ،  
ويهدى به كثيرا ، وما يضل به الا الفاسقين » فمن ناحية الهدى ،  
والاضلال ، فان أحمد مظهر اسم الله الهادى ، وابليس مظهر اسم  
الله المضل .. فإذا استقر هذا فى الالذهان يستقر أيضا ان الوجود  
كله مظهر الله فى مستويات مختلفة ، وما نسميه نحن الخلق ما هو  
غير الخالق ..

### \* وحدة الوجود ..

وسيقول قائل ان هذه هى وحدة الوجود ، فليعلم هذا ان وحدة

الوجود هي التوحيد ، وما أنكرها ، من أنكرها ، الا لجهله بحقيقتها ،  
فوحدة الوجود تعنى ان ليس في الوجود الا فاعل واحد ، ومريد  
واحد ، وكل ما في الوجود انما هو أثر لارادة واحدة ، لا تتعدد ..

### \* هل القرآن مخلوق ؟

فالمخلوق اذن هو مظهر الخالق .. ومظهر الخالق شمل أحمد  
في قمة الهرم ، وابليس في قاعدة الهرم .. فهل القرآن مخلوق بهذا  
المعنى ؟ الجواب نعم ولا .. نعم ، لأن القرآن مخلوق بالمعنى الذى  
به أحمد مخلوق ، ولا ، لأن القرآن ليس مخلوقا بالمعنى الذى به  
ابليس مخلوق .. وقد قلنا ان أحمد حق ، وابليس باطل .. والله  
هو خالق الحق ، والباطل ، أو قل ان الحق والباطل هما مظهران  
لله .. لله في مظهر الباطل ارادة ، وله في مظهر الحق رضا .. وقد  
ارسل الله الرسل لينقلوا عباده مما يريد الى ما يرضى ، فإنه  
سبحانه ، وتعالى ، أراد الكفر ، وأراد الايمان ، ولكنه لا يرضى  
الكفر ، وانما يرضى الايمان .. قال تعالى .. « ان تكفروا فإن الله  
غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وان تشكروا يرضه لكم » ..  
هو خالق الظلمات وخالق النور .. الظلمات مظهره ، والنور مظهره  
.. وأرسل محمداً ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، باذنه ،  
ومن أجل ذلك أنزل القرآن ، قال تعالى .. « الر ، كتاب أنزلناه  
اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ، باذن ربهم ، الى صراط  
العزیز الحميد » فالقرآن حق ، كله ، يزهق الله به الباطل ، ونور ،  
كله ، يخرج الله به الناس ، من الظلمات ، الى النور .. فهو مخلوق  
في هذا المستوى .. هو مظهر الله .. هو الله المنتزل من مستويات

صرافة الذات . الى مستويات الحقيقة ، الى مستويات الحق ..  
ولا تجد الذين يخوضون في خلق القرآن ، كما فعل أخونا السيد طه  
الكردي ، الا ضعافا في التوحيد ، فهم يظنون أن القرآن هو ما  
تعطيه اللغة العربية من المعانى .. ويورد هنا السيد طه الكردي  
الكثير من .. « انا جعلناه قرآنا عربيا » وأخواتها .. ويذكر في  
باب الاحتجاج ، عبارة منسوبة للامام محمد عبده يقول فيها ..  
« انى أربأ بامام كأحمد بن حنبل أن يقول ان هذا القرآن ، المكتوب  
من حروف هجائية ، التى ينطق بها كل انسان ، وانها مادية ، بشرية ،  
غير مخلوق » ..

### \* اللغة حجاب عن المعانى ..

حجاب اللغة ، الذى اشرنا اليه في صدر هذا الحديث ، ظاهر  
في العبارة المنسوبة للامام محمد عبده ، فأنت ، حين تسمعه يقول ..  
« هذا القرآن المكتوب من حروف هجائية ، التى ينطق بها كل  
انسان ، وانها مادية ، بشرية » ، تشعر بأن كل شئ معروف بداهة ،  
ولكن اذا أمعنت النظر ، وسألت نفسك .. ما هى الحروف الهجائية ؟  
أو ما هى المادة ؟ لوجدت انك تعرف المظهر فقط ، وتجهل الحقيقة  
التى وراء المظهر ، وبذلك تكون خرجت بحيرة ، بدلا من العلم الذى  
ضللتك العبارة عنه ، وأوهمتك أنك تملكه ، من قبيل البداهة ، وأخونا  
طه الكردي أورد في بحثه طرفا من الآية حين أورد .. « انا جعلناه  
قرآنا عربيا » ولو أورد كل الآية .. ثم أورد الآية السابقة لها ،  
والاية اللاحقة ، لاعانه ذلك كثيرا .. فلنوردها نحن ، ولنلفت نظره  
اليها ، فلعله يحدث فهما جديدا لموقفه .. قال تعالى .. « حم \*  
والكتاب المبين \* انا جعلناه قرآنا ، عربيا ، لعلكم تعقلون \* » وانه ،  
في ام الكتاب لدينا ، لعلى حكيم » أوردنا هذه الآيات ليتفكر فيها



الاخ السيد طه ، لا ليكتفى منها بأن يذهب ليدل على ان كلمة « جعل » تعنى كلمة « خلق » فأن « الجعل » و ( الخلق ) كيفهما مجهول ، وان خيل اليه أنه يعرفه ، والله تعالى يقول « حم » وهى آية تمثل قمة القرآن ، وما من مفسر للقرآن الا يقول عنها « الله أعلم بمراده » .. ثم يقول تعالى « انا جعلناه قرآنا ، عربيا ، لعلمكم تعقلون » فيفهم الفاهمون ان الله صب معانى القرآن فى قوالب التعبير العربى ، فحملت منه ما اطاقت . وذلك الصنيع انما جرى بفضل الله علينا لعلمنا نعقل عنه .. ثم قال تعالى عن القرآن « وانه فى ، ام الكتاب لدينا ، لعلى حكيم » فعرقنا أيضا أن القرآن اصله عند الله .. و « لدينا » هذه لا تشير الى المكان ، كما جرت العادة بها فى اللغة العربية ، وهى لا تشير الى المكان ، لأن الله ، تبارك وتعالى ، لا يشمل المكان ، وانما هى تشير الى التناهى فى الكمال ، حتى تنتهى الى الذات العلية .. فالقرآن فى حقيقته هو الله .. هو ذات الله تنزلت فى المستويات المختلفة . لماذا تنزلت ؟ الجواب « لعلمكم تعقلون » .. وهذا يذكر بالحدیث القدسى الذى وردت الإشارة اليه .. « كنت كنزا مخفيا ، فأردت أن أعرف ، فخلقت الخلق ، فتعرفت اليهم ، فبى عرفونى »

### ✽ للقرآن ظاهر وباطن ..

أحب أن يعلم الأخ الكريم السيد طه أن القرآن له « ظاهر » ، وله « باطن » ، وله « حد » ، وله « مطلع » .. فأما ظاهره فهو ماتعطيه اللغة العربية ، وهو يطابق آيات الآفاق . وأما باطنه فهو أسرار النفس البشرية .. والى ذلك يشير قوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » ، وأما « حده » فهو توظيفه ، كله ، لتحقيق التوحيد . وأما « مطلع » فهو كونه ، كله ، فى أى حرف منه ، بل انه ، كله ، فى « النقطة » التى عندما سالت ، وساحت ،

تكونت منها صور الحروف ، المختلفة ، المعروفة عندنا .» بالحروف الهجائية » ..

### \* تقديس القرآن واجب ..

لقد تحدث الأخ السيد طه كثيرا في بحثه ليثبت أن القرآن مخلوق ، وهو بحث لا قيمة له ، لأنه هو لا يفهم ما يقول .. ورأيت ان متابعتي للرد عليه جملة ، جملة ، مضيعة للوقت ، وسير في التيه .. وأحب ان يعلم الأخ الكريم أن الورع منع الائمة الماضين فلم يقولوا بأن القرآن مخلوق ، محتملين في سبيل هذا تعذيب الجهال من المسلمين ، لأنهم أشفقوا ان يذهب هذا التقرير بالتقديس الواجب للقرآن ، وهذا التقديس هو البديل الوحيد عن فهم أسرار القرآن .. فأن من لا يفهم القرآن ، ولا يجد في نفسه تقديسه ، الى أعلى درجات التقديس ، انما هو محروم ، ومطرود ، من الحضرة الالهية . عزيزي على .. لا بد لي من الوقوف هنا ، لأنني مشغول بكتابة أخرى ، أجلتها لأكتب لك .. وفي الحق ، أني كنت دائما محاولا ان اضغط الكتابة في هذا الموضوع لئلا تطول ، وذلك لأن مجال القول فيه ذو سعة ، ويمكن أن يستمر الى مدى بعيد .. ثم لا يميل .. ولكن للضرورة أحكام .. ثم اني أحب أن أقول اني سأحاول أن أرد على أي اسئلة تقوم ببالك في هذه السطور ، وسأرد كتابة حتى تضمها على بعض .. أرجو الله ان يجعلك من أهل البصائر والابصار .

وتكرم بقبول فائق احترامي

المخلص

محمود محمد طه

امدرمان ٧/٧/١٩٦٩ م



## هذا الكتاب ..

« ليس هذا الكتاب كأحد الكتب التي ألفها الناس عنا ، من حيث وحدة الموضوع .. ذلك بأنه يتألف من أجوبة على أسئلة ، جاءت اشتاتاً ، من فضلاء يفتتحون على العرفان ، ويهتمون بقضايا الفكر المعاصر .. ولقد احتفلت بأسئلتهم هذه ، وكان ذلك منى حرصاً على كرامة الفكر ، في بلد لم يظفر الفكر فيه ، الى الآن ، بكبير كرامة .. ومع ذلك ، فإن حرصى على تكريم الفكر انما يستمد اسبابه من اقتناع تام ، بان ليل الجهل قد أخذ بنجابه ، وان نور الفكر قد أخذ ينشر أجنحته المشرقة على هذه الارض الحزينة ، ومن ورائها ، على هذا الكوكب الحائر .. »

## هذا الكتاب ..

### \* سر الحياة ..

قديمًا هام الناس بسر الحياة الاعظم .. هاموا بسر القدرة ، وبسر الخلود ... فجد الفلاسفة وراء ما اسموه بحجر الفلاسفة ، وبحث الكيماويون عما اسموه اكسير الحياة .. وبلغ القصاصون بخاتم المنى ، وبالفانوس السحري .. ولم يظفر أى من هؤلاء بشيء مما كانوا يبتغون . قل لهؤلاء جميعاً ، ولغير هؤلاء ، من سائر الناس ، ان سر الحياة الاعظم — ان اكسير الحياة — هو الفكر .. الفكر الحر .. الفكر القوى ، الدقيق ، الذى يملك القدرة على ان يفلق الشعرة ويملك القدرة على ان يميز بين فلقتيها .. وهذا الفكر انما هو ثمرة العقل المسدد ، المروض ، المؤنب باب الحق ، وادب الحقيقة .. »

---

الثن ١٥ قرشاً